الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلّية الآداب واللّغات

قسم: اللغة والأدب العربي

التخصص: لسانيات الخطاب فرع: الدراسات اللغوية

مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

منهج الكسائي بين أسس التقعيد النحوي واتجاهات مدرسة الكوفة

إعداد الطالبتين: إشـــراف الأستـاذ الدكتور:

- بن عطية بختة عرابي أحمد
- حطابي نصيرة

أعضاء لجنة المناقشة:

أعضاء اللّجنة	الرّتبة	الصّفة
د. بن جلول مخطار	أستاذ محاضر "أ"	رئيسًا
أ.د. عرابي أحمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفًا مقررًا
د. بلقاسم عيسى	أستاذ محاضر "أ"	عضوًا مناقشا

السنة الجامعية:

1440هـ – 1441هـ / 2019م – 2020م

﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ المجادلة الآية 11.

صدق الله العظيم

أَيَـا مَـنْ لَـيْسَ لِـي مِنْـهُ مُجِيـرٌ *** بِعَفْـوِكَ مِـنْ عَـذَابْكَ أَسْـتَجِيْرُ

أَنَـا العَبْـدُ المُقِـرُّ بَكُـلِّ ذَنْـبً *** وَأَنْـتَ السَّـيِّدُ المَـوْلَىْ الغَفُـوْرُ

فَـإِنْ عَـذَّبْتَنِيْ فَبِسُـوْءِ فِعْلِـيْ *** وَإِنْ تَغْفِـــرْ بِـــهِ جَـــدِيْرٌ

أَفِـرُّ إِلَيْـكَ مِنْـكَ وَأَيْـنَ إَلَّا؟ *** إِلَيْـكَ يَفِـرُّ مَـنِ المُسْـتَجَيْرُ

أبو نواس [ديوان أبي نواس – 346]

الإهداء

الحمد لله خالق الألسن واللغات واضع الألفاظ والمعاني الذي علم آدم الأسماء كلها، وأظهر شرف اللغة وفضلها والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لسانا وأجودهم بيانا، وعلى آله وصحبه أكرم به أنصار وأعواناً أما بعد:

فإن العلم لمن صلحت فيه نيته وصيرورته، علم منشور وتجارة رابحة وكنز لا يعتريه النفاذ وحصن نحميه الأضداء أن أعظم العلوم العربية شأنا وأرفعها وهو علم النحو وأصول الذي يعصم اللسان من اللحن إذا نطق ويعصم البنيان من الخطأ، كما يمكننا القول أن اللغة العربية مصدر اعتزاز وفخر لأبنائها ولطالما بقيت كذلك فقد كانوا يتفاخرون بالقصاص وبراعة التركيب وإصابة المعنى وبلاغة الإيجاز فازدهرت الخطب والإشهار وروايات وكون خاتم الأنبياء والمرسلين أرف الخلق أجمعين واحدا من إحدى أشرف القبائل ونزول الحي الكريم باللسان عربي مبين مما زادها عظمة وشأنا والحمد لله الذي شرف العربية فإختارها لغة لكتابه الكريم، والمعروف أن العربية تحب تسجيل مفاخرها فقد كثر تأليف في الموضوع على أيدي المتأخرين ولم يكن لهم خيارا إلا أن يسلكو سبيل أحد المتخالفين مما زاد من حدة الخلاف فتكونت من هذا المدارس وتعددت، وقد سجل النحاة المعاصرين أسماءهم بقوة عن هذا الخلاف وأسبابه، وما لاحظناه أن أغلب الدارسين كانوا مبالين للمدرسة البصرية المعتمدة على التحري في الأخذ وتتبع أخبار الراوي والمروي غلى المدرسة الكوفية التي اهتمت بالجانب اللغوي فلم تراعي التحري اهتماما كبيرا فتسببوا إليها التغليط وإفساد النحو، تكمل أهمية الموضوع على انه أحد الموضوعات المهمة، إذا تسلط الضوء على إحدى المدارس اللغوية العربية وتتبع مراحل نشأتها وتتبع منهجها في الدراسة وإسهامات رجالها في تشييد بناء النحو،بسببه تولدت لدينا الرغبة في خوض غمار هذا الموضوع واستنباط خباياه حبا في معرفة ذلك وهذا سببنا في إختيار هذا الموضوع لأمه مادام البحث في موضوع منهج الكساني بين أسس التقعيد النحوي واتجاهات مدرسة الكوفة، يعتبر من أهم المواضيع التي أولاها النحاة والمفسرون اهتماما بالغا وألفوا فيها كثيرا من المصنفات ولهذا السبب تجدون مشدودين لهذا الموضوع وهي تلك الرغبة الجامعة التي تدفعنا للقيام بإنجاز هذا البحث،

وسبب أخر وهو حاجة المكتبة العربية التي مثل هذه الدراسات التي تبرز أهمية ما أنجز الرجال العظماء أمثال الكسائي.

أهداف الدراسة:

يهدف بحثنا هذا إلى معرفة :

- نشأت المدرستين البصرية و الكوفية
- وصف أسباب الاختلاف للآراء النحوية بين المدرستي البصرية و الكوفية
- رغبة في ملازمة كتب العلماء و التعرف على أساليبهم و أرائهم و نهل من معاني علمهم
- مواقف الكسائي كانت علمية منهجية فقبولها أو رفضها كان مرهونا بمدى مطابقتها للمقياس النحوي
- رفد المكتبة العربية بإضاءة بحثية هادفة

تسهيلا للبحث الذي يحققه الباحث وتنحيا عن الأغلاط و الأخطاء حدده على مايلي:

- سيقتصر ذلك البحث على ما يتعلق بالمدرستين النحويتين و هما : مدرسة البصرة و الكوفة و نشأتهما
- سيقتصر ذلك على الدوافع اختلاف أرائهما النحوية

و من الصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذا البحث منها:

- تراث الإمام الكسائي قد فقد جله و لم يصل إلينا إلا متفرقا في كتب النحاة مما تطلب جهدا كبيرا للتوصل إلى تحديد رأيه بشكل دقيق في مسائل
- قلة المصادر و التي تناولت أراء الكسائي و النحو الكوفي بوجه عام

قد يكون عنوان البحث موضحا للمشكلة ، حيث تكمن تساؤلات البحث في معرفة:

1. حياة الكسائي و منهجه
2. كيف نشأة مدرسة البصرة و الكوفة
3. أسباب اختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة و الكوفة

و بالنظر إلى الإشكالية و أهداف التي ترمي إليها فان المنهج الأنسب لها هو المنهج الوصفي المبني على الاستقراء و هـ الذي يعتمد على دراسة الواقع او الظاهرة كما توجد في الواقع و يهتم بوصفها وصفا دقيقا و يعبر عنها تعبيرا كيفيا و كميا .

وقد استوت مادة هذه الدراسة على الدراسة على الفصلين يتقدمها مقدمة و تمهيد و مدخل يفوقهما خاتمة، أما التمهيد فقد عرضنا فيه لمحة عن حياة الكسائي و تأسيسه للمدرسة الكوفية و تفرع الفصل الأول بالحديث عن المدارس النحوية بشكل عام ثم يليه نشأة و منهج كل من المدرسة البصرة و الكوفة، أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه طبقات المدرسة البصرة و اختلافهم فيما بينهم ثم يليه طبقات المدرسة الكوفية و اختلافهم فيما بينهم ثم يليه اختلافات فيما بين المدرستين البصرية و الكوفية، لنتوج البحث بأهم النتائج المتوصل إليها، وقد تنوعت المصادر و المراجع في هذا البحث بتنوع العناصر المدرستين ذلك قصد الدقة و إلمام بوجهات النظر لمد جسور التواصل بين الماضي و المعتمر و الحاضر المشرق و المستقبل المنظور.

وفي هذا أنتهز الفرصة لأتقدم بجزيل الشكر ككل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث.

وأخيرا لست أدعي أنني بهذه الدراسة قد ألهمت بالموضوع من جميع جوانبه وشتى أطرافه فذلك ما لا يمكن أن يدعيه الباحث، فالله سبحانه وتعالى المتفرد بالكمال وحده، وإنما هي محاولة مني لإستجلاء أهم جوانب هذا الموضوع فإن وقفنا فذلك ما نتمناه وإن كان غير ذلك فحسبي أني لم أدخر جهدا وما توفيقي إلا بالله.

مدخل

لمحة عن حياة الإمام الكسائي

الكسائي: اسمه ونسبه:

هو علي بن حمزة بن عبدا لله[1] بن عثمان من ولد يهمن بن فيروز مولى بني أسد ،و هو من أهل الكوفة ثم استوطن بغداد ،وكنيته أبو الحسن ،ولقبه الكسائي ،لقب به لأنه احرم في كساء. وهو احد القراء السبعة ،وقد اخذ القراءة عرضا عن حمزة أربع مرات ،وعليه اعتماده ،وعن محمد بن أبي ليلى وعيسى بن عمر الهمداني ،وروى الحروف عن أبس بكر عياش(شعبة)،وعن إسماعيل بن جعفر وعن زائدة بن قدامة ،وقرا عيسى بن عمر على عاصم وطلحة بن مصرف والأعمش بن جعفر على شيبة بن نصاح ونافع.

وقرا أيضا إسماعيل على سليمان بن محمد بن مسلم بن جمار وعيسى بن وردان وقرا زائدة بن قدامة والأعمش[2]. و كان الكسائي إمام الناس في القراءة في زمانه ،وأعلمهم بها،واضبطهم لها،وانتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد الإمام حمزة.

ثناء العلماء عليه[3]

قال أبو عبيدة في كتاب القراءات :كان الكسائي يتخير القراءات فاخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضا،وليس هناك اضبط للقراءة ولا أقوم بها من الكسائي .

وقال ابن مجاور:اختار الكسائي من قراءة حمزة ومن قراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة ،وكان إمام الناس في القراءة في عصره.وكان الناس يأخذون عنه ألفاظه بقراءته عليهم،وينقطون مصاحفهم من قراءته.وقال إسماعيل بن جعفر المدني –وهو من كبار أصحاب نافع– :ما رأيت أقرأ لكتاب الله تعالى من الكسائي.

[1] معرفة القراء الكبار محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله دار النشر مركز البحوث الإسلامية استانبول ط1ص100،النشر لابن الجزري (172/1) الأعلام (14/5).

[2] تاريخ القراء العشرة عبد الفتاح القاضي ط1 مكتبة القاهرة 1998 ص 36.

[3] قراءة الكسائي من القراءات العشرة المتواترة، احمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 ص 7

قال أبو بكر الأنبا ري:اجتمعت في الكسائي أمور :كان اعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم في الغريب، وأوحدهم في القران، فكانوا يكثرون عنده فيجمعهم ويجلس على الكرسي ويتلو القران من أوله إلى آخره و هم يسمعون ويضبطونه عنه حتى المقاطع و المبادئ .

قال بعض العلماء[1]:كان الكسائي إذا قرأ القرآن أو تكلم كأنه ملكا ينطق على فيه.وقال يحي بن معين: ما رأيت بعيني هاتين اصدق لهجة من الكسائي .

وروى عنه القراءة عرضا و سماعا أناس لا يحصى عددهم،منهم:احمد ابن جبير وأحمد بن منصور البغدادي وحفص بن عمر الدوري وأبو الحرث الليث بن خالد وعبدا لله بن احمد بن ذكران وأبو عبيد القاسم بن سلام و قتيبة بن سلام بن مهران والمغيرة بن شعيب ويحي بن ادم وخلف بن هشام اليزار ،وأبو حيوة شريح بن يزيد ويحي بن يزيد القراء.

وروى عن الحروف:يعقوب بن إسحاق الحضرمي.

وكما كان الكسائي إماما في القراءات كان إماما في النحو و اللغة ،قال الفضيل بن شاذان:لما عرض الكسائي القراءة على حمزة خرج إلى البدو فشاهد العرب وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم ثم دنا إلى الحضر وقد علم اللغة .

وقال الشافعي : من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي .وقال غيره: انتهت إلى الكسائي طبقة القراءة و اللغة و النحو و الرياسة، وكان يؤدب ولدي الرشيد:الأمين و النامون .

وفي تاريخ ابن كثير :اخذ الكسائي عن الخليل صناعة النحو فسأله يوما عمن أخذت هذا العلم؟فقال له الخليل: من بوادي الحجاز،فرحل الكسائي إلى هناك فكتب عن العرب شيئا كثيرا، ثم عاد إلى الخليل فوجده قد مات،و تصدر مكانه يونس، فجرت بينهما مناظرات أقر يونس للكسائي فيها بالفضل وأجلسه موضعه.

[1] قراءة الكسائي من القراءات العشرة المتواترة، احمد محمود عبد السميع الحفيان ص 8

وتوفي الكسائي على الأصح سنة تسع وثمانين ومائة عن سبعين سنة صحبة هارون الرشيد بقرية (رنبويه) من أعماله الري، متوجهين إلى خراسان ومات معه في المكان المذكور محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة.

وقال الرشيد:دفنا الفقه و النحو في الري في يوم واحد.

وفي رواية انه قال:اليوم دفنا الفقه والعربية .

ورأى بعض العلماء الكسائي في المنام فقال له:ما فعل الله بك؟قال: غفر لي بالقران،فقال له:ماذا فعل حمزة؟ قال:ذاك في عليين.ما تراه إلا كما نرى الكوكب.

منهج الكسائي في القراءة[1]:

1-يبسمل بين كل سورتي نالا بين (الأنفال و التوبة) فيقف أو يسكت أو يصل .

2-يوسط المدين المتصل و المنفصل بمقدار أربع حركات .

3-يدغم ذال (إذ) فيما عدا الجيم ،ويدغم دال (قد) وتاء التأنيث ولام (هل وبل) في حروف كل منهما،ويدغم الباء المجزومة في الفاء نحو :قال اذهب فمن تبعك منهم).

ويدغم الفاء المجزومة في الياء في :"**إن نشا تخسف بهم**"في سبا ويدغم من رواية الليث اللام المجزومة في الذال :"**يفعل ذلك**"،حيث وقع هذا اللفظ.

ويدغم الذال في التاء في :"عذت "و"فنبذتها"،"اتخذتهم"و"أخذتهم" ويغم التاء في التاء في :"أورثتموها"و "لبثت"و لبثتم".

4- يميل ما يميله حمزة من الألفات و يزيد عليه إمالة بعض الألفاظ كما وضح في كتب القراءات .

[1] قراءة الكسائي من القراءات العشرة المتواترة، احمد محمود عبد السميع الحفيان ص 9- 10

5-يميل ما قبل هاء التأنيث عند الوقف نحو:"رحمة "و "الملائكة" بشروط مخصوصة .

6-يقف على التلاوات المفتوحة نحو:"شجرت، بقيت، جنت" بالهاء.

7-يسكن ياء الإضافة في "قل لعبادي الذين امنوا" بإبراهيم،و"يا عبادي الذين "بالعنكبوت و الزمر.

8-يثبت الياء الزائدة في :"يوميات"في هود،و "ما كنا نبغ"في الكهف في حال الوصل .

من أهم مؤلفات الكسائي:

للكسائي مؤلفات عديدة في النحو وفي القراءات ، منها:كتاب (معاني القران) ،وكتاب (القراءات)، وكتاب (النحو)، وكتاب (الهجاء،) وكتاب (مقطوع القرآن وموصوله) ،وكتاب (المصادر)، وكتاب (الحروف)، وكتاب (الهاءات)، وكتاب (أشعار).

أشهر ما روى عن الكسائي [1]:

1-الليث.

2-حفص الدوري.

1-**الليث:**

هو الليث بن خالد المروزي البغدادي ،وكنيته أبو الحارث. عرض القراءة على الكسائي وهو من جلة أصحابه. وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول وعن اليزيدي. وهو ثقة حاذق ضابط للقراءة،محقق لها، قال أبو عمرو الداني كان الليث من جلة أصحاب الكسائي . وروى عنه القراءة عرضا و سماعا سلمة بن عاصم صاحب القراء،و محمد بن يحي الكسائي الصغير، و الفضل شاذان وغيرهم. وتوفي سنة الأربعين ومائتين كذا ورد في معرفة القراء الكبار.

[1] قراءة الكسائي من القراءات العشرة المتواترة، احمد محمود عبد السميع الحفيان ص 11

2- حفص الدوري[1]:

هو حفص بن عمرو بن عبد العزيز بن صيهان بن عدي بن صهيان الدوري الأزدي البغدادي،النحوي المقرئ الضرير راوي الإمامين،أبي عمرو و الكسائي وكنيته أبو عمر،ونسب إلى الدور–موضع ببغداد–ومحلة بالجانب الشرقي منها.ولد سنة خمسين و مائة في الدور في أيام المنصور،وقرا على إسماعيل بن جعفر بن نافع ،وقرا على نافع أيضا ،وقرا على يعقوب بن جعفر عن ابن جمار عن أبي جعفر .

وقرا على سليم عن حمزة و على محمد بن سعدان عن حمزة و قرأ على الكسائي.وعلى يحي بن المبارك اليزيدي،وهو ثقة ثبت كبير ضابط،و كان إمام القراء في عصره،وشيخ الناس – خصوصا أهل العراق في زمانه–،وهو أول من جمع القراءات و صنف فيها .

قال الأهوازي:انه رحل في طلب القراءات وقرا بسائر الحروف متواترها وصحيحها وشاذها وسمع من ذلك شيئا كثيرا وقصده الناس من الآفاق لعلو سنده و سعة علمه.

ومن مصنفاته :ما اتفقت ألفاظه و معانيه من القرآن وأحكام القرآن والسنن ،وفضائل القرآن،وأجزاء القرآن.

وروى القراءة عنه أناس كثيرون،منهم: احمد بن حرب شيخ المطوعي،وأبو جعفر الحلواني،والحسن بن علي بن بشارة بن العلاف،وأبو عثمان سعيد بن عبد الرحيم الضرير،وعمر بن محمد بن برزة الاصبهاني،ومحمد بن احمد البر مكي،ومحمد بن حمدون القطيعي،وأبو عبدا لله الحداد .

وروى عنه بعض الأحاديث ابن ماجة في سننه،وأبو حاتم وقال:صدوق.

قال أبو داود: رأيت احمد بن حنبل يكتب عن أبي عمر الدوري و طال عمره في القراءة و الإقراء و الأخذ و التلقين،وانتفع الناس بعلمه في سائر الآفاق حتى توفي في شوال سنة ست و أربعين و مائتين في عهد المتوكل.

[1] قراءة الكسائي من القراءات العشرة المتواترة، احمد محمود عبد السميع الحفيان ص 12

نشاطه العلمي

هو على [1] بن حمزة 'من أصل فارسي ،ولد بالكوفة في سنة تسع عشرة و مائة للهجرة ' و نشا بها ' واكب منذ نشأته على الحلقات القراء مثل سليمان بن أرقم راوى [2] قراءة الحسن البصري ، وأبى بكر شعبة بن عياش راوى [3] قراءة عاصم بن أبى النجود إمام قراء الكوفة في الجيل السابق للكسائي ،و سفيان ابن عيينة راوى [4] قراءة عبد الله بن كثير إمام قراء مكة . و لزم حلقة حمزة ابن حبيب الزيات المتوفى سنة 156 للهجرة إمام قراء الكوفيين لعصره، حتى حذف قراءته ، و يقال انه لقب بلقبه الكسائي في مجالسه ، لأنه كان يلبس كساء اسود ثمينا ، ويقال : بل لقب لكل انه احرم في كساء . و كان فطنا ذكيا ، فرأى انه لن يبرع في قراءة الذكر الحكيم إلا إذا عرف إعرابه ، فاختلف إلى حلقات أبى جعفر الرواسي و إلى كتابه الفصيل ولم يجد عنده ما يريد ، فرحل إلى البادية رحلته الأولى [5] ،ثم عاد إلى الكوفة . و كأنه رأى انه لن يحسن العربية إلا أستمع غالى معلميها بالبصرة فرحل إليهم ، و اخذ ينتقل بين حلقات عيسى ابن عمر المتوفى سنة 149 للهجرة و أبى عمر و بن العلاء و يونس بن الحبيب . و عكف على حلقة الخليل بن احمد، و راعته روايته لإشعار العرب ة أقوالهم ، فسأله يوما عن ينابيع هذه الرواية ، فقال له أنها من ملابسة أهل البوادي في نجد الحجاز و تهامة ، فمضى إليهم في رحلة ثانية ، و معه خمسة عشر ة قنينة حبر ، وظل يكتب ما يسمعه من أفواههم و يدونه في صحفه ، حتى انف دكا ما حمله من حبر .

ورجع إلى مسقط رأسه ، و قد بسط له لسانه و ذلل له منطقه و استقامت فصاحته و عربيته ، و اخذ يستغل ذلك استغلا لا حسنا في قراءته للذكر الحكيم بقراءة أستاذه حمزة الذي كان قد لبى نداء

[1] الفهرست لابن النديم تحقيق :د .رضا تجدد . طهران – 1971 م ص 103

[2] النشر في القراءات العشر : أبو الخير شمس الدين بن محمد المعروف بابن الجزري ت 833 هـ تصحيح ومراجعة : علي محمد الضباع , ط1 دار الكتب العلمية , بيروت , د .ت. ص312.

[3] النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري 1ص325.

[4] النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري 1ص307.

[5] مجالس العلماء عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي أبو القاسم طبع الكويت ص 266.

ربه . فكان يتلو القران على الناس من أوله إلى أخره ، و الناس من حوله يسمعون و يكتبون مصاحفهم . و ذاعت شهرته فطلبه المهدى ليتخذه مؤدبا لابنيه الأمين و المأمون .ثم اختار لنفسه قراءة ، صارت إحدى القراءات السبع المتواترة ،و اقرأ بها خلقا كثيرا . و كان يجلس بالمسجد الجامع على مقعد مرتفع ،و الناس من حوله يكتبون المصاحف بقراءته و ينقطونها و يضبطونها و يرسمون مقاطع الآيات و مبادئها . و كان الرشيد يجله و يوقره و يفسح له في مجالسه ، و كثيرا ما كان يتخذه إمامه في صلواته و رفيقه في غزواته و مقامه بالرقة . بينما كان البصريون لا يرون اللغة عن أمثالهم من العرب المتحضرين الذين يمكن إن يكون قد دخل الفساد على ألسنتهم ، و سرعان ما ظهر اثر ذلك في مناظرته [1] لسيبويه حين قدم بغداد على نحو ما مر بنا في غير هذا الموضع ، فقد سبقه إليه تلاميذه : الفراء و الأحمر و هشام ابن معاوية الضرير و محمد بن سعدان ، و سأله الأحمر عن مسائل ، و كلما أجابه بجواب قال له أخطأت يا بصرى . ووافى الكسائي و معه طائفة من عرب الحطمة ،

فلما جلس قال :"خرجت فإذا زيد قائم " منطق بها سيبويه . فقال له الكسائي : أيجوز : " فإذا قائما " فقال سيبويه : لا ، لان العرب الفصحاء الذين اخذ عنهم هو أستاذه الخليل لا ينطقون مثل " قائما " في هذا المثال و نحوه إلا مرفوعة . و في القران الكريم (فإذا هي بيضاء) (فإذا هي حية) إي على إن ما بعد إذا في هذه الأمثلة مبتدأ و خبر مرفوعان .و اظهر الكسائي تعجبه من رفضه لنصب كلمة "قائم " و قال : فلنرجع إلى من يحضرنا من العرب . و كانوا من عرب الحطمة كما ذكرنا ، و ساهم : كيف تقولون : " قد كنت احسب أن العقرب اشد لسعة من الزنبور فإذا إياها " فقال نفر منهم : " فإذا الزنبور هي " و قال آخرون " فإذا الزنبور إياها ".و يبالغ رواة هذه المناظرة ، فيقولون آن سيبويه حصر و أفحم ، و في رأينا انه لم يفحم ولم يحصر ، لأنه كان لا يعتد بما قد يفد على السنة مثل هؤلاء العرب المتحضرين ، مما يخالف استخدام الفصحاء و يشذ على القياس المبنى على استعمالهم و ما يدور في ألسنتهم . و المهم أن هذه المناظرة أرست أصلا من أصول المدرسة

1ينظر المناظرة في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف 1983مصر ط2 ص 68 و ما بعدها

الكوفية ، وهو الأخذ بالغات الشاذة المخالفة للأقيسة البصرية من جهة و للشائع المتداول على أفواه العرب من جهة ثانية .

ومن المؤكد إن هذه المناظرة أقنعت الكسائي بان ما بيده من النحو و قواعده قليل و انه ينبغي أن يتزود من نحاة البصرة و علمهم الغزير ، و تصادف أن توفى سيبويه عقب المناظرة . و نرى الكسائي ينشط لا في تأليف كتب تتصل بالقران الكريم و قراءاته و معانيه فحسب ، بل يؤلف أيضا في النحو كتابين هما مختصر النحو و كتاب الحدود في النحو .

و ألف في أغلاط العامة كتابا سماه " ما تلحن فيع العوام " و هو مطبوع . و ما زال يوالى هذا النشاط العلمي حتى خرج مع الرشيد في مسيره إلى خراسان سنة 179 للهجرة واعتل علة شديدة لم يلب ثان توفى منها بقرية ر نبوبه بالقرب من الرى ، و توفي معه الفقيه المشهور محمد بن الحسن الشيباني ، فحزن الرشيد عليهما حزنا شديدا ، و قال : " دفنا الفقه و النحو بالرى".

تأسيسه للمدرسة الكوفية[1]

لا ريب في أن الكسائي يعد إمام مدرسة الكوفة ، فهو الذي وضع رسومها ووطأ منهجها ،و هو معروف بالثقة و الأمانة و الصدق فيما يروى ، و عنه حمل معاصروه ومن تلاهم إحدى القراءات السبع الوثيقة ، أما أن علمه ليس منظما ، وانه يفتقر إلى الحجج و العلل فقد يكون ذلك صحيح إذا قسناه لسيبويه ، ولكن من المؤكد انه تلقن عنه وعن الخليل و عيسى بن عمر معرفة العلل و الأقيسة ، بل لقد كان يؤمن بان النحو إنما هو ضروب من القياس و ما يطوى فيه من علل و حجج تشده و تقيم أوده، حتى يقول :

[1]أسرار العربية : أبو البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت 577 هـ ,بتحقيق : محمد بهجة البيطار , دمشق 1957 م ص 152.

إنما النحو قياس يتبع و به في كل أمر ينتفع و حقا انه توسع في القياس ، فلم يقف به عند المستعمل الشائع على الألسنة و لا عند أعراب البدو بل مده ليشمل ما ينطق به العرب المتحضرون . و أهم من ذلك انه مد النحو ليشمل الشاذ النادر من تلك اللغات مما لم يكن سيبويه و الخليل يحفلان به.

واكبر الظن أن الذي دفع الكسائي إلى هذا الموقف من نحوهما و أن يفسح في العربية للغات الشاذة النادرة انه كان من القراء للذكر الحكيم ، وكانت تجرى في قراءته حروف تشذ على قواعد النحو البصرى ، فخشى اندثارها ، وهي جميعا مروية عن الرسول صلى الله عليه و سلم غير أن منها ما هو متواتر وهو القراءات السبع ومنها ما هو غير متواتر ، و هو ما وراءها من قراءات ، و جميعها صحيح غير أن الكسائي ــ فيما يظهر لنا ــ رأى أن يعاد النظر في هذا التأصيل العام لقواعد النحو وان يفسح فيها للقراءات و اللغات الشاذة ، و بذلك خرج إلى صورة جديدة من النحو ، صورة لا تتفق و المناهج الدقيقة في وضع العلوم التي تقضى في قواعدها الاطراد و التعميم و الشمول .

و نبدأ بما وقف عنده الكسائي من بعض حروف في القراءات ، فمن ذلك الآية الكريمة : (أن الذين امنوا و الذين هادوا و الصابئون و النصارى من امن بالله و اليوم الأخر و عمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فقد لاحظ أن كلمة (الصابئون) عطفت بالرفع على اسم أن المنصوب قبل تمام الخبر ، وهو (من امن بالله و اليوم الآخر) فوضع قاعدة عامة : انه يجوز العطف على موضع أن اسمها ، و موضعها الابتداء وهو مرفوع ، قبل مجئ الخبر ، فبقال أن محمدا وعلى مسافران . ومنع ذلك البصريون ، وأجابوا عن الآية جوابين : احدهما أن خبر إن محذوف تقديره مأجور ون أو منون أو فرحون ، و الصابئون مبتدأ ما بعده خبره . و الجواب الثاني آن الخبر المذكور في الآية خبر إن ، أما (الصابئون)فخبرها محذوف ،تقديره كذلك [1]

(إن الذين تدعون من دون الله عادا أمثالكم) في قراءة سعيد بن جبير بنصب كلمة (عبادا) مما جعل الكسائي يضع قاعدة عامة ، وهي أن إن النافية إذا دخلت على الجملة الاسمية عملت عمل ليس ،

[1] أسرار العربية : أبو البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد الأنباري ص 152.

فرفعت الاسم ونصبت الخبر .وهي ــفي رأى سيبويهــ لا تعمل بل تمهل دائما ،و كان قراءة سعيد بن جبير في رأيه شاذة فذة لا يصح أن تتخذ منها قاعدة. ولعل من الطريف أن نعرف أن الفراء كان يتابع سيبويه في رأيه ى،بينما كان يتابع المبرد البصرى الكسائي فيما ارتآه من عملها[1].ومن ذلك ما يشهد بان مدار الاختلاف بين المدرستين الكوفية و البصرية وأئمتها لم يكن يراد به إلى المناقضة و إنما كان يراد به إلى تبين وجه الصواب في إخلاص .

ومن ذلك الآية الكريمة : (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود و نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)فقد لاحظ أن اسم فاعل (باسط) مع انه بمعنى الماضي في الآية ،لأنه يحكى قصة أهل الكهف ، عمل النصب في كلمة ذراعيه ،فوضع قاعدة عامة ،هي انه يعمل النصب بمعنى الماضي و بمعنى الحال و الاستقبال ،بينما كان يمنع البصريون عمله النصب فيما بعده على المفعولية و هو بمعنى الماضي ،و تأولوا (باسط) في الآية على حكاية الحال الماضية ،

بدليل حكايتها بالمضارع في الفعل السابق : (ونقلبهم) وكان التقدير :وكلبهم يبسط ذراعيه .غير أن الكسائي تمسك بالآية واتخذ منها قاعدة كلية مجوزا مثل "زيد معط عمرا أمس درهما". وتابعه في ذلك تلميذه هشام بينما ظل القراء مع جمهور البصريين لا يجيز إعمال اسم الفاعل في المفعول به إذا كان بمعنى الماضي [2]

ومن ذلك الآية الكريمة :(قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة)فقد رأى المضارع فيها محذوف النون ،فقال إنها حذفت على تقدير لام الأمر .واتخذ من ذلك قاعدة عامة ،هي حذف لام الأمر من المضارع بشرط تقدم "قل" عليه كما في الآية ، بينما كان البصريون يرون أن الفعل المضارع مجزوم في جواب الأمر مثله في نحو " ائتني أكرمك" [3] .

[1] همع الهوامع : في شرح جمع الجوامع : جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ت 911 هـ ,بتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ت 1988 م وعبد العال سالم مكرم, ط1 دار البحوث العلمية 1395 هـ 1975م ص124 .

[2] المغنى موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبلي ص 770،و الهمع للسيوطي ط2ص 95.

[3] المغنى موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبلي ص 248

و على النحو ما كان يتخذ من بعض الحروف في القراءات قواعد يخالف فيها سيبويه و الخليل كان يصنع ذلك تلقاء الأقوال و الأشعار الخارجة على مقاييسهما ، فمن ذلك انه رأى بعض العرب يقول :" لا عبد الله في الدار ".بإعمال لا عمل أن و نصب عبد الله ،و معنى العبارة أن أحدا من الناس لا يوجد في الدار لاستعمال عبد الله هنا في أي رجل كان ،غير انه قاس على عبد الله بقية الأعلام منتهيا إلى قاعدة عامة ،هي أن لا النافية للجنس يجوز أن يليها العلم فيقال :"لا زيد في الدار ". وواضح ما في قياسه من الخطأ ،ولذلك رفض تلميذه الفراء قاعدته ،لان لا النافية للجنس تتطلب أن يكون اسمها نكرة أو كالنكرة حتى تفيد النفي العام الشامل كما لاحظ البصريون .ولعل في ذلك ما يلفت إلى أن الكسائي كانت تفلت منه أحيانا العلة السديدة التي توجب القاعدة النحوية ،و كأنه لم يكن يسير الشواهد التي يشتق منها أحكامه النحوية دائما سبرا دقيقا[1].

ومن ذلك أن البصريين منعوا تقديم المستثنى في أول الكلام موجبا كان أو منفيا فلا يقال (إلا زيدا قام القوم) ولا (إلا زيدا ما أكل أحدا طعاما) ولا (ما –إلا زيدا–قام القوم) وسمع الكسائي :

خلا الله لا أرجو سواك وإنما اعد عيالي شعبة من عيالكا

فلم يلتفت إلى أن ذلك ضرورة شعرية دفعت الشاعر إلى المخالفة المنطقية لترتيب الكلام فصوغه لا في (خلا) وحدها بل أيضا مع (إلا) بحجة أنها الأصل في الباب و خلا فرع لها و الأصل أولى بما يجوز في الفرع و بذلك وضع قاعدة عامة لجواز تقديم المستثمر في أول الكلام سواء كان موجبا أو منفيا [2]

و رأى الأخفش يجيز تأخير المعمول للفعل إذا كان ظرفا أو جارا و مجرورا و تقدم المستثنى عليه لقوله تعالى (وما أرسلنا ما قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات و الزبر)فقد تأخر الجار و المجرور (بالبينات والزبر) و تقدم المستثنى (إلا رجالا) ووقع له في بعض

[1] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 145/1.

[2] ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين والبصريين والكوفيين : د .محيي الدين توفيق إبراهيم , ط , 1 مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر , العراق / الموصل 1399 , هـ 1979 م.

الشعر (فما زادني إلا غراما كلامها)يتوسطه المستثنى بين الفاعل و الفعل فوضع قاعدة عامة خالف بها جمهور البصريين وهي انه يجوز تقديم المستثنى على المعمول للفعل مرفوعا كان أو مجرورا أو منصوبا [1] و ذهب سيبويه و البصريون و جمهور الكوفيين إلا أن (خلا) إذا تقدمتها ما المصدرية تعين نصب المستثنى بعده و جوز الكسائي فيه الجر على أن تكون ما زائدة فتقول (قام القوم ما خلا محمد بالنصب) و ما خلا محمد بالجر وعلق ابن هشام على ذلك في المغنى بان القياس يمنع ذلك لان (ما) لا تزاد قبل الجار و المجرور إنما تزاد بعد حرف الجر مثل (عم قليل)(فيما رحمة) و قال :إن احتج بالسماع فهو من الشذوذ الذي لا يصح القياس عليه [2] و ربما كان اغرب ما ذهب إليه الكسائي من أحكام في باب الاستثناء انه جوز في مثل (ما قام الا محمد) نصب محمد على الاستثناء مستدل بقول بعض الشعراء:

لم يبقى إلا المجد و القصائدا غيرك يا ابن الأكرمين ولدا

بنصب المجد و غيرك ورد عليه جمهور النحات بان غيرك هي الفاعل و فتحها ليست فتحة إعراب إنما هي فتحة بناء لإضافتها إلى مبنى و قد اندفع في هذا الحكم تمشيا مع قاعدته التي اشرنا إليها وهي انه قد يحذف الفاعل مع الفعل و كأنه لم يلاحظ في مثله (ما قام إلا محمد) ما لاحظه البصريون وجمهور الكوفيون من أن الفاعل مذكور بعد إلا و أن الاستثناء مفرغ وربما كان اشد في الغرابة انه أعرب لفظة محمد في حالة الرفع بدلا من الفاعل المحذوف [3]

و جوز النحات في التمييز توسطه بين الفعل و مرفوعه مثل (طاب نفسا محمد)أما تقدمه على معموله مثل (نفسا طاب محمد)فمنعه سيبويه وجمهور البصريين وجوزه الكسائي و تبعه في ذلك المازني و المبرد لوروده على لسان بعض الشعراء في قوله :

أتهجر سلمى بالفراق حبيبها و ما كان نفسا بالفراق تطيب

[1] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 230/1.

[2] المغنى موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبليص142.

[3] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 223/1.

واحتج البصريون بان ذلك لم يرد في نثر وإنما جاء على لسان الشاعر ضرورة ولا يحتج بالضرورة لأنها تبيح ما لا يباح [1]

و كان سيبويه يذهب هو و جمهور البصريون إلى أن (حيث) تلزم الإضافة إلى جملة اسمية أو فعلية و انه لا يجوز إضافته إلى مفرد وذهب الكسائي إلا أن جواز ذلك بل جعله قياسا لقول بعض الشعراء :

ونطعنهم تحت الحبا بعد ضربهم ببيض المواضى حيث للعمائم [2]

وقول آخر :

أما ترى حيث سهيل طالعا نجم يضيء كالشهاب لامعا

و البصريون يجعلون ذلك من النادر الذي لا يصح أن يتخذ منه القياس و الأحكام النحوية الكلية العامة [3] . وله في نواصب المضارع أحكام كثيرة لا تسندها الشواهد ولا القياس ،من ذلك أن سيبويه كان لا يجوز الفصل بين (لن) و الفعل المضارع المنصوب بعدها ،و تابعه في ذلك البصريون وهشام ،و خالفه الكسائي ، فجوز الفصل بين لن و الفعل بالقسم و معموله ،فتقول : "لن و الله أقرأ الكتاب " و أحس الفراء ما في المثال الأخير من النبو ، فلم يوافقه إلا على الفصل بالقسم ،غير انه عاد فجوز الفصل بكلمة أظن مسيغا أن يقال : "لن أظن أزورك " بالنصب ،و كذلك بالشرط مثل "لن-إن تزرني- أزورك" وهما صيغتان نابيتان و ليس هناك ما يؤيدهما من الشواهد[4]. ومن هذا الباب أن البصريين و هشاما ومن تابعه من الكوفيين كانوا لا يجيزون الفصل بين كي و معمولها إلا بما ولا الزائدتين ،مثل "جئت كيما أتعلم "و(كيلا يكون دولة) وجوز الكسائي الفصل بينها و بين الفعل بمعموله مطلقا . أغرب من ذلك انه جوز أن يتقدم عليها المعمول للفعل مثل "جئت الرياضة كي

1 شرح المفصل ط. المنيرية يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين الناشر: إدارة الطباعة المنيرية ط 2 ص 73

[2]تحت الحبا :في أوساطهم.

[3]المغنى المغنى موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبلي ص 141.

[4]الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 4/2

أتعلم "[1] .ومن ذلك أن الجمهور البصريين كان يجيز الفصل بين إذن و معمولها بلا النافية و بالقسم لورود ذلك في الاختيار وفي الشعر مثل " إذن و الله نرميهم بحرب " و توسع الكسائي – وتبعه هشام- فجوز الفصل بمعمول الفعل مطلقا مثل " إذن صاحبك أكرم" و يبقى الكسائي لإذن عملها ،و يلغيه هشام رافعا للمضارع .و كان سيبويه و البصريون يشترطون لنصبها المضارع ان تكون في صدر العبارة ،و سمع الكسائي بعض الرجاز يقول :

لا تركنى فيهم شطيرا إنى إذن اهلك أو أطيرا

فذهب إلى إلغاء هذا الشرط بعد إن ، و قاس عليها كان ، تقول "كان عبد الله إذن يكرمك " و توقف تلميذه الفراء ، فوافقه في ان و خالفه في كان ،رافضا ما أرتاه أستاذه من هذا القياس[2].

وواضح مما قدمنا أن الكسائي كان يتوسع أحيانا في القياس وانه كان يدلى أحيانا بأحكام دون شواهد تسندها من اللغة ومما جرى في الندرة على السنة بعض العرب .و مما نسوقه أيضا من توسعه في القياس حكمه بان صلة الموصول يجوز أن تكون طلبية ،محتجا بقول الفرزدق :

وإني لراج نظرة قبل إلى لعلى –وان شطت نواها – أزورها

و الصلة في البيت – إن صحت – إنشائية لا طلبية ، وقد تأول البيت البصريون بأحد توجيهين ، إما أن الصلة محذوفة على إضمار القول ،أي " قبل التي أقول لعلى" أو على أن الصلة هي جملة " أزورها" في آخر البيت و خبر لعل محذوف تقديره " لعلى افعل ذلك " .و إنما منع البصريون أن تكون الصلة إنشائية ،لأنها معرفة للموصول ،فلا بد من تقدمها عليه وان تكون معهودة مما يستلزم خبريتها ، وما خالف ذلك ينبغي تأويله .و لسلامة هذا المنطق في استعمال العرب للموصول و الصلة توقف تلميذه هشام ،فلم يرتض أن تكون الصلة طلبية ، بحيث يفسح لمثل "الذي كلمه أولا

[1]الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 6/88،2/1.

[2]معاني القرآن المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ط 1 ص 274

تخاطبه محمد" كما ذهب الكسائي ، و ارتضى فقط طبقا للبيت السالف أن تكون إنشائية مصدرة بلعل ،وقاس عليها ليت وعسى ،فيقال "الذي –ليته يأتي أو عسا هان يأتي – زيد "[1] .

و تدور الكسائي في كتب النحو وراء ذلك أراء كثيرة لا تسندها الشواهد ، فمن ذلك انه كان يجيز الفصل بين فعل الشرط وأداته بمعمول مثله " من زيدا يكرم أكرمه " و الفصل أيضا بعطف و توكيد ، ومنع ذلك الفراء لعدم ورده في السماع[2].وكان يجوز تقديم معمول فعل الشرط وجواب على الأداة مثل " خيرا إن تفعل تكرم " و "خيرا إن أتيني تصب " ومنع ذلك أيضا الفراء ،إذ لا يؤيده شيء من السماع عن العرب[3].

ومن ذلك انه جوز في المصدر الواقع مبتدأ وخبره حال سدت مسده مثل " قراءتي الكتاب نافعة " بنصب نافعة أن ينعت ،فيقال مثلا " قراءتي الكتاب الدقيقة نافعة " و منع ذلك الجمهور لأنه لو يرد فيه السماع[4]. ومن ذلك أن البصريين كانوا يوجبون في إن الكسر حين تقع جوابا لقسم مثل " والله إن محمدا مسافر" لكثرة ذلك في السماع عن العرب ،و خالفهم الكسائي ،فجوز الكسر و الفتح واختار فتحها مع ندرته في السماع[5].ومن ذلك انه جوز العطف بالرفع على المفعول الأول لظن إذا كان المفعول الثاني فعلا، فيقال " أظن محمدا وعلى سافرا " ولم يسند ذلك بأي سماع أو أي شاهد عن العرب ،و لعل ذلك ما جعل الفراء تلميذه يقف في صفوف البصريين منكرا هدا الحكم الغريب [6] .ومن ذلك انه كان يجيز في الاختيار تقديم الحال على صاحبها مثل "زيد طالعة الشمس" وهو حكم لا يتفق ومنطق التعبير وسياقه[7].و ربما كان اغرب ما انتهى إليه هو و تلميذه الفراء من حكم

[1] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 85/1.
[2] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 59/2.
[3] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 61/2.
[4] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 107/1.
[5] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 137/1.
[6] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 145/2.
[7] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 242/1.

لا يسنده أي سماع ولا أي شاهد ما ذهبا إليه من بناء فعلى "كان وجعل "للمجهول فيقال "كين قائم وكين يقال وجعل يفعل " بنيابة الخبر عن الاسم مع الفعلين الناقصين ،إذ يريدان "جعل"التي تدخل في أفعال المقاربة .وهي صياغات غريبة ،ولذلك أنكرها الرضى في شرحه على الكافية إنكارا شديدا[1].

ولعل في ذلك و أمثاله مما نجده عند الكسائي و نحاة الكوفة ما يدل اكبر الدلالة عن خطا ما يحاولون رفع المدرسة الكوفية فوق المدرسة البصرية في الحس اللغوي وتبين روح اللغة زاعمين أنهم لم يكون يتعدوا الرواية و السماع و هم قد تعدوهما لا كثيرا ،كما تعدوا حدود القياس السديد . وقد حاولوا – جاهدين – أن يخالف سيبويه وغيره من نحاة البصرة في الكثير من وجوه الإعراب و التقدير في العبارات ،مما جرهم في الكثير من الأمر إلى صورة مختلفة من التعقيد و البعد في التأويل ،فمن ذلك إعراب الأسماء الخمسة :"أبوك و أخواتها " فقد كان سيبويه وجمهور البصريين يرون إنها معربة بحركات مقدرة في الحروف أي في الواو رفعا و الألف نصبا و الياء جرا ، وذهب الأخفش إلى أنها معربة بحركات مقدرة على ما قبل تلك الحروف ، بينما ذهب الكسائي – وتبعه الفراء – إلى أنها معربة من مكانين بالحروف و الحركات السابقة لها معا ، غير ملتفتين إلى أن علامات الإعراب إما أن تكون(4) بالحركات كما في المفردات وإما أن تكون في المثنى وانه كان ينبغي لذلك أن يختارا إعرابا لها إما بالحروف كما ذهب سيبويه ،وإما بالحركات كما ذهب الأخفش[2].ومن ذلك أن سيبويه و البصريين كانوا يعربون ضمير الفصل في مثل "محمد هو شاعر " على انه لا محل له من الإعراب ، وذهب الكسائي إلى أن محله محل ما بعده رفعا أو نصبا كالمثال السابق ومثل "كان محمد هو المسافر"وكأنما تنبه الفراء إلى هذا الري من خلل ، إذا تعرب "هو" بتاليها قبل النطق به ، فذهب إلى أن إعرابها هو إعراب ما قبلها ، ففي مثل "كان محمد هو المسافر " محلها الرفع وفي مثل "إن محمدا هو المسافر "

[1] شرح الرضي على كافية ابن الحاجب : لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ، تحقيق : د /يوسف حسن عمر ، جامعة ، قار يونس ط1 ص 74و الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 164/1.

[2] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي 38/1.

محاها النصب ،بينما محلها الرفع في تقدير الكسائي . وكل ذلك أعفانا منه سيبويه و البصريون ، لأنه لا يترتب عليه شيء في النطق فضلا عن البعد في التقدير المحل المزعوم[1]. ومن ذلك إعراب صيغة الاشتغال في مثل "الكتاب قرأته" بنصب الكتاب فان سيبويه والبصريين يجعلون الكتاب وما يماثله مفعولا به لفعل يفسره المذكور ، وذهب الكسائي إلى انه مفعول للفعل التالي و الضمير المتصل به ملغى ، ورده البصريون بان الفعل قد يكون لازما مثل "الكتاب نظرت فيه" فلا يصح تعديه المفعول السابق .وكأنما أحس الفراء ما في رأى أستاذه من خلل لا من هذه الناحية ولكن من ناحية إلغاء الضمير ،فقال إن الفعل عامل في الضمير و المفعول المتقدم معا ،ورد بتعدى الفعل اللازم وان الفعل المتعدى لواحد يصبح متعديا لمفعولين في مثل "الكتاب قرأته" وهو نقض للقواعد المقررة في لزوم الأفعال وتعديها إلى واحد أو أكثر[2].

ولعل في كل ما قدمنا ما يصور إمامة الكسائي لمدرسة الكوفة النحوية و الأسس التي وضعها لقيامها ، وهي أسس تقوم على الاتساع في الرواية و القياس و النفوذ إلى أحكام وأراء لم تقع في خاطر البصريين ، سواء سندتها الشواهد أو لم تسندها ،مع كل ما يمكن مخالفتهم في توجيه الإعراب في الصيغ و العبارات.

[1] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي ص 1

[2] الهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي ص 1

الفصل الأول

منهج المدرستين الكوفية و البصرية

سنتحدث في هذا الفصل عن المدارس النحوية المشهورة التي كان لها أثر كبير في تطور النحو، هذه المدراس التي أثرت الساحلة العلمية بالجديد في الدرس النحوي كما أن اسهاماتها المتعدة وآراءها المختلفة أفادت الدرس النحوي كثيرا أما خلافاتها النحوية فهو ما نقصده، وكذلك سنتحدث عن منهج كل مدرسة وطريقتها في وضع القواعد والأحكام النحوية وتحليل منهجها ومناقشته، لكن قبل ذلك كله لا بد من الوقوف على مفهوم المدرسة النحوية في اللغة وفي الاصطلاح ومفهوم المذهب النحوي.

مفهوم المدرسة النحوية:

أ- في اللغة:

إذا تصفحنا معجم (لسان العرب) وجدنا أن صاحبه قد أشار إلى هذا المفهوم وذلك بقوله: "درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودراسه في ذلك، أي عانده حتى إنقاد له... وقيل: درست: قرأت كتب أهل الكتاب، ودررست، أي تعلمت... ودرست الكتاب أدرسه درسا، أي دللته بكثرة القراءة حتى حق علي حفظه والمدراس والمدرس: الموضوع الذي يدرس فيه والمدرس: الكتاب...وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد للشيء والمدرسة اسم مكان للفعل درس[1].

ب- المدرسة النحوية في الاصطلاح:

أما المدرسة اللغوية في الاصطلاح فتعني: وجود جماعة من النحاة يصل بينهم رباط وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو ولا بد أن يكون هناك الرائد الذي يحدد الخطه ويرسم المنهج والتابعون الذين يقتفون خطاه ويتبعون منهجه يعملون على تطويره والدفاع عنه، فاستمرار النظرية –المنهج– شرط أساس لتكون المدرسة[2].

[1]– لسان العرب : أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ,بيروت 1388 هـ 1968 م. – مادة درس 1ص968.

[2]– أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ، القاهرة ط3، 1978م ص 90.

مفهوم المذهب النحوي:

المذهب النحوي يعني "الأدلة التي تعتمد عليها المسائل النحوية والأصول التي ترتكز عليها قواعدها"[1].

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن النحاة القدامى ومؤرخي العلوم وأصحاب كتب الطبقات والتراجم لم يطلقوا "مصطلح المدرسة" على البصريين أو كوفيين او غيرهم. بل كانوا يتعلمون كلمة "المذهب" فكانوا يقولون: مذهب البصريين أو مذهب الكوفيين.

وهذا لا يعني أن القدماء كانوا بعيدين عن هذه الكلمة، بل إنه من المعروف تاريخيا أن المسلمين في عصر حضاراتهم الزاهرة قد أنشأوا مؤسسات تعليمية في حواضرهم وكان في تلك المؤسسات المدرسة "النظامية" "والمدرسة المستنصرية" في بغداد وغيرها من المدارس التي انتشرت في بلاد الشام ومصر وسائر البلاد الإسلامية وهذه المدارس حقيقة ينتسب إليها طلاب العلم ويتلقون فيها العلوم المختلفة[2]، فكان الشائع بين العلماء قديما أنه كلما عرضت لهم مسألة خلافية قالوا مذهب البصريين فيها كذا، ومذهب الكوفيين كذا حتى اشتهر عندهم اصطلاح المذهب النحوي معبرين عنه عن كل قضية نحوية نشأ حولها خلاف في الرأي.

أول من استعمل إصلاح المدارس النحوية المستشرقون ومنهم "فلوجل في كتابه" المدارس النحوية عند العرب" وكارل بلوكرمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" الذي ترجمه عبد الحليم النجار سنة 1959[3]، ومن ثم استحسن الباحثون العرب المعاصرون اصطلاح "المدرسة" فاستعروه من مادة الخلاف النحوي كما استعاروه من مسائل أدبية أخرى وفي تقديرنا أن مصطلح "مدرسة" لا يبعد كثيرا عن مصطلح "مذهب" بل يكاد يقابله وهذا ما أكده شوقي ضيف عندما تحدث عن الكوفيين

[1] المدرسة نحوية في مصر والشام في قرنين سابع وثامن من هجرة بيروت عبد العال سالم مكرم ص 476.

[2] المدارس النّحوية : د .شوقي ضيف ت 2004 م ,ط 4 دار المعارف , القاهرة 1394 , هـ1974 / م. ص 155.

[3] المدارس النحوية أسطورة وواقع ابراهيم السامرتي، عمان دار الفكر ط 1987م ص 139.

ومنهجهم قائلا: أجمع القدماء على أن نحو الكوفيين يشكل مذهبا مستقلا أو كما نقول بلغة العصر مدرسة مستقلة"[1].

ومن هنا نجد تسميات أخرى ناظرت مذاهب المدارس النحوية في مثل قولنا هذا مذهب مسسوه وهذا مذهب الأخفش وهذا كذهب الفاء ونرى أن كلمة "مذهب" كانت تطلق على الطريقة التي سار عليها أحد النحاة.

[1]– دراسات في النحو العربي، رياض السواد ، دار الراية ، ط1 ص 114 – نحاة (3) ومؤلفات.

المبحث الاول

- مدخل للمدرسة النحوية الكوفية

يعد موضوع وجود المدرسة النحويّة الكوفيّة , من الموضوعات التي شغلت عدداً من الدارسين في البحث النّحويّ ,إذ حاول الباحث العراقيّ أن يقف على حقيقة هذهِ المدرسة , وطبيعة الأسس التي قامت عليه,ويظهر أنّ التعسف أصابَ التقسيم إلى المدارس النّحويّة مرتين , الأولى في التوسع والنسبة إلى المدن , وإغفال المناهج والأصول, والأخرى في التضييق والاقتصار على مدرسة نحويّة واحدة , وإنكار المدرسة الثانية [1] إذ كانت للباحث العراقيّ في هذا الموضوع آراء سديدة خرجَ بها بعد استقصاء والآراء التي قيلت فيها والأدلة التي قامت على أساسها , ومناقشتها سواءاً عند من أنكر مدرسة النحو الكوفيّة أم من أثبتها , لذا كان لزاماً علينا الوقوف عليها وتَبْيِيْنِها , والخروج بمحصلة متكاملة عن رأي الباحثين العراقيين فيها.

نشأة المذهب النّحوي الكوفيّ ومؤسسيهِ

إنَّ تحديد تاريخ معين لنشأة مدرسة الكوفة النّحويّة , ليس أمراً سهلاً ؛ لأنَّ الحركات العقلية ليست ممّا يؤرخ بزمنٍ محدد , يُنصُّ فيهِ على بدئه وختامه , فإذا ظهرت فذلكَ يعني أن بواكيرها سبقت ظهورها الواضح , ومهدت لهُ , وإذا انتهت فذلكَ يعني أن جذورها لم تنقطع[2] ويبدو أنَّ هناكَ عوامل ساعدت على احتفاء الكوفة بعلم النحو, مثل وجود ثلاثة من قراء القرأن السبعة فيها , ([3] فضلاً عن أنَّ أهل الكوفةِ اعلم بالشعر من أهل البصرة[4], وانشغالهم بالفقه ومقاييسه وأصوله ورواية الشعر والاهتمام بكتب السير والمغازيّ , جعلت من الكوفة أرضية خصبة للأخذ بعلم النّحو الذي ارتبط بالقرآن أول أمره , وكان للاتصالات المستمرة بين البصرة والكوفة أثر في وصول النّحو إلى

[1] الخلاف النّحوي بين الكوفيين : مهد ي صالح الشمري , إطروحة دكتوراه , جامعة بغداد / كلية الآداب, بإشراف : د .عبد الأمير محمد أمين الورد 1416 ,هـ 1995 / م أطروحة 22

[2] مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنّحو : د .مهدي المخزومي , ط 3 دار الرائد العربي , بيروت 1406 هـ 1986 / م ص 81

[3] الاقناع في القراءات السبع : أحمد بن علي بن الباذش ,بتحقيق : د .عبد المجيد قطامش1403هـ 1983 ط1 ص115 ،125 ، 138.

4الاقتراح في علم أصول النّحو : أبو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ,بتحقيق: د .محمد أحمد قاسم , ط 1 لبنان طرابلس 1408 , هـ 1998م. ص 84

الكوفة , فلم يحدث شيء في البصرة إلاّ وجدتَ صداهُ في الكوفة , وما عُرف شيء في الكوفة إلاّ رأيت آثاره في البصرة[1]

فبعد أن ظلتْ البصرة وحدها تقوم بعبءِ هذا العمل الذي كان قُرآنيا خالصاً , ثُمَّ أصبح قرآنيا لغويًّا خالصاً قرابة قرن من الزمان[2] , فإنَّ الكوفة بدأت تنهض ببعض ذلكَ الأمر.

وحين نقول إنَّ الكوفيّين قد تأخروا عن البصريّين في تبني هذا العِلم والعمل بهِ , فإننا نقصد ذلكَ التأخر الحاصل في الدّراسة المنهجيّة القائمة على الأصول , وعلى تقرير القواعد وتطبيقها , وإلاَّ فإنَّ هناك ملامح مدرسة نحويّة يمكن أن نعدَّها البذرة الأولى التي نهضت بالنشاط النّحوي في الكوفة , قد ظهرت بوجود القُرّاء فيها , فما الدراسة النّحويّة إلاّ وليدة التفكير في قراءة القرآن ؛ لأنَّ العلماء لم يفكروا ابتداء في دراسة علم يبحثُ عن علل التأليف , ولكنهم توصلوا إلى ذلكَ بعد أن نضجت الفكرة في أثناء قيامهم بعملهم القرآنيّ , يؤيد هذا أنَّ أوائل الدّارسين من النُحاة كانوا من القُرّاء[3].

وربط د.عبد الله الجبوريّ بين وجود كتاب نحويّ وتأسيس المذهب النحويّ في الكوفة , إذ عدَّ الرؤاسيّ الذي نُسبَ إليهِ أنَّهُ أوّل من وضع من الكوفيينّ آتاباً في النّحو[4] , من مؤسسيّ المذهب الكوفيّ في النحو[5] وخَلُصَ د.مهدي المخزوميّ (إلى أننا لو)) أردنا أنْ نؤرخ لمدرسة الكوفة , فينبغي أن نؤرخ للكسائي ؛ لأنَّهُ –فيما نذهب إليهِ – هو النّحويّ الأوّل[6] . وهو الذي رسم للكوفيّين رسوماً يعملون عليها[7] وذلكَ لإنَّ الكسائي وتلميذهُ الفرّاء , هما المؤسسان الحقيقيان لهذهِ الدَّراسة , أخذوا نحو البصرةِ وغيَّرا فيهِ ونهجا في دراستهِ منهجاً مستقلاً , سارَ عليهِ المنتسبون إلى هذهِ الدَّراسة[8]
8

1مدرسة الكوفة مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والّنحو ، مهدي المخزومي ، ص65

2مدرسة الكوفة مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والّنحو، .مهدي المخزومي ، ص 79

3دروس في المذاهب النحوية عبده الراجحي دار النهضة العربية ص 89

4نزهة الالباء في طبقات الأدباء : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري,بتحقيق : د .إبراهيم السامرائي ط3 مكتبة المنار , عمان 1405هـ 1985 م ص 50

5نحوي من الكوفة: أبو جعفر الرؤاسي بتحقيق د .عبد الله أحمد الجبوري , ط 1 دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل , بغداد 1408 , هـ 1988م ص 6-7

6مدرسة الكوفة مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والّنحو، مهدي المخزومي ، ص79

7الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، الجزء الحادي عشر 11 – طبعة دار الكتب المصرية ص 102

8الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ص 74

وذهبَ د.عبد الله الجبوريّ إلى أنَّ الرؤاسيّ كان أستاذ أهل الكوفة في النّحو[1]

ولهُ أثرٌ في تأسيس النّحو الكوفي لا يمكن إغفاله , إذ إنَّ لهُ اختياراً في القراءة[2], وأول من وضع كتاباً في النّحو[3]

حتى ذهبَ السيوطيّ إلى ذكر تأثُّر سيبويه بهِ , ونقله عنهُ , إذ يقول في ذلكَ : أنّه إذا ذكر سيبويه الكوفيّ إنّما يقصد بذلكَ أبا جعفر الرؤاسيّ[4]

هناكَ من عدَّه المؤسس الأوّل للنّحو الكوفي[5] , على الرّغم من أنَّ د.عبد الله الجبوريّ لم يجزم بذلكَ بذلكَ , بل عدَّهُ من مؤسسي النّحو الكوفيّ , إذ قال : وإني لأصرح أنَّ الرؤاسيّ هو من مؤسسي مدرسة النّحو في الكوفة بعيداً عن الوهم.[6]

إنَّ جعل الرؤاسي مؤسساً للنّحو الكوفيّ أمرٌ مبالغٌ فيهِ , والنصفة تقتضي عدم التقليل ممّا قدّمه , لكنَّ الكسائي الأثبت أثراً والأدق منهجاً عملَ على إقامة المذهب الكوفيّ وتطويره فهو عالم أهل الكوفة وإمامها غير مدافع [7],وإليهِ ينتسب جلّ أعلام الكوفة من النّحاة , وروى القفطي ت 646 هـ قول الفرّاء فيهِ : قال لي رجلٌ ما اختلافكَ إلى الكسائي وأنت مثلهُ في النّحو , فأعجبتني نفسي فأتيتهُ مناظرة الأكفاء فكأني كنتُ طائراً يغرف بمنقارهِ من البحر[8] وقال الشافعي ت 204 هـ : من أراد أن يتبحر في النّحو فهو عيال على الكسائي[9] , وعلى يد الكسائي تقوى المذهب الكوفيّ وبدأ يناهض البصريّ[10]أمّا الفرّاء فهو تلميذ الكسائي , ووصِفَ بأنَّهُ أمير المؤمنين في النّحو[11] و أعلم

1طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ص135

2ينظر أبو جعفر الرؤاسي ،نحوي من الكوفة ص 6-7

3ينظر نزهة الالباء في طبقات الأدباء ، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري ص 50 .

4المزهر في علوم اللّغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي ,شرح محمد أحمد جاد المولى, ومحمد أبو الفضل إبراهيم , وعلي محمد البجاوي , ط 2 دار إحياء الكتب العربية 1378 , هـ 1958 م ص 400

5أبو جعفرِ الرؤاسي المؤسس الأول للنحو الكوفي،عبد العال سالم مكرم , مجلة الضاد , تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة , العراق 1409 , هـ 1989م ص 51’75

6أبو جعفر الرؤاسي، نحوي من الكوفة ص 28’33

7ينظر : المزهر في علوم اللغة ط2 ص407

8إنباه الرواة على أنباه النّحاة : جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي , بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم , ط 2 دار الكتب القاهرة 1394هـ 1974 م ص 264

9نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري ص71

10نشأة النّحو وتاريخ أشهر النحاة محمد الطنطاوي ط2 دار المعارف ص 99

11نزهة الالباء في طبقات الأدباء، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري ص 81

الكوفيّين بالنّحو بعد الكسائي[1] , وكان إماماً وثقة قال فيه ثعلب لولا الفرّاء لما كانت اللغة؛ لأنَّهُ حصّنها وضبطها , ولولا الفراء لسقطت العربيّة ؛ لأنها كانت تنازع ويدعيها كلُّ من أرادَ , ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب[2].

وقال فيه هشام بن معاوية الضرير والفرّاء حمل العربية على الألفاظ والمعاني فبرع واستحق المقدمة[3]إذ تركَ الفرّاء آثاراً واضحة في منهج المدرسة أو المذهب الكوفيّ , وخَطَا بالنحو خطوات واسعة تشهدُ لهُ بسعةِ الأفقِ والتمكن في معرفة أسرار اللّغة وغواريها , إذ أَلف في العربيّة كتباً وصفها أبو العباس ثعلب بقوله : كتب الفرّاء لا يوازي بها كتاب[4] , وذهبَ الزبيديّ إلى أنَّ كتاب معاني القرآن للفرّاء لم لم يعمل قبله ولا بعده مثله , ولم يتهيأ لأحد من الناس جميعاً أن يزيد عليهِ شيئاً[5]

على الرّغم من أنَّ الكسائي والفرّاء قد أثريا النّحو العربيّ , لكن ذلكَ لا يعني أنُّهما انفرَّدا في تأسيس المذهب الكوفيّ أو نشرهِ , بل تضافرت عليهِ جهود علماء أُثر , ساعدوا على استكمال بنائه وتطويره بعد ذلكَ[6] .ولا ينبغي النظر إلى المذهب الكوفيّ على أنُّهُ يباين المذهب البصريّ في الأركان العامّة للنّحو العربيّ ,فقد بُنيَ المذهب الكوفيّ على ما أحكمتهُ البصرة من تلك الأركان التي ظلت إلى اليوم راسخةً في النّحو العربيّ , غير أنَّها مع اعتمادها لتلكَ الأركان استطاعت أنْ تشقَّ لنفسها مذهباً نحوياً جديداً لهُ طوابعهُ , ولهُ أسسهُ ومبادئه[7]

وبيَّن د .مهدي المخزوميّ (أنَّ منهج الكوفة يقوم على أساس احترام آل ما جاء عن العرب واستعملوهُ حتّى لو خالف القواعد , إذ يجعلون من ذلكَ أساساً في وضع قواعدهم[8] ,ويصف السيوطيّ ذلكَ بقوله : كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلاّ في الضرورة فيجعلهُ أصلاً ويقيس عليه[9]

1بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة : أبو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية , بيروت/صيدا ص 411

2نزهة الالباء في طبقات الادباء ، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري ص81

3إنباه الرواة على أنباه النحاة ط4 ص2

4طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص146

5المصدر نفسه ص 132

6 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والّنحو، مهدي المخزومي ص88

7المدارس الّنحوية د . شوقي ص 158

8 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والّنحو، مهدي المخزومي ص 378

9بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة : أبو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ص 366

إنَّ الكوفيّين أكثر قياساً وأوسع استعمالاً ؛ لأ نَّهم يقيسون على الصحيح الفصيح الكثير , ويتساهلون في الأخذ عن الأعراب والقياس على القليل والنادر , فلو سمع الكوفّيون بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأُصول جعلوهُ أصلاً وبوَّبوا عليهِ [1]وهذا دليل توسعهم في جمع اللّغة , وتسامحهم في الأخذ بها[2]

لكن ذلكَ لا يعني أنَّهم – أي الكوفيّون – أقل حفظاً وسماعاً , بل كانوا أصحاب رواية وسماع فهم علاّمون بأشعار العرب مطلعون عليها [3],وذهبَ د.مهدي المخزوميّ إلى القول : ولسنا نوافق كثيراً من القدماء وبعض المحدثين في تغليط العرب 4,لذلكَ رفضَ الإدعاء بأنَّ العرب – وهم أصحاب لغة لغة – يغلطون أو يتكلمون على غير قياس لغتهم ... فاللّغة عادة , ومن الصعب التصديق بأنَّ صاحبها ينسى ما تعوده أو يغلط فيه5 وذلكَ لأنَّ الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ , وإنْ كان غير ما جاء بهِ خيراً منهُ6

ويبدو أنَّ التوسع في السّماع عند الكوفيّين , قادهم إلى وضع قواعد تخالف ما عُرف عند البصريّين [7], البصريّين [7],إذ حاولوا وضع أُصولٍ تتلاءم مع المسموع , ونقض أصولٍ قائمة من أجلهِ[8]

منهج المدرسة الكوفية

ينبغي أن يستقر في الأذهان أن المدرسة الكوفية لا تباين المدرسة البصرية في الأركان العامة للنحو، فقد بنت نحوها على ما أحكمته البصرة من تلك الأركان التي ظلت إلى اليوم راسخة في

1الاقتراح في علم أصول النّحو، ابو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ص 84

2ينظر : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنّحو، مهدي المخزومي ص 378 ص 396

3الاقتراح في علم أصول النّحو، ابو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ص8

4مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنّحو، مهدي المخزومي ص386 ، ويقصد بتغليط العرب هَنا ما عبر عنه القدماء بالتوهم ، وهو أن يبنى الكلام على شيء يتوهمه المتكلم موجودًا ، وهو ليس كذلك

5المرجع نفسه ص 386 :

6الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جي بتحقيق : محمد علي النجار ت ط 1 دار الشؤون الثقافية , بغداد 1410 هـ 1990 م ص412 .

7ينظر : الاقتراح في علم أصول النّحو، ابو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ص 84

8ينظر : الاقتراح في علم أصول النّحو ابو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ص84

النحو العربي غير أنها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشق لنفسها مذهباً نحويا جديدا، له طوابعه وله أسسه ومبادؤه[1].

ومن خصائصه نذكر:

أولا: دراسة المادة اللغوية في كثير من المسائل على أساس وصفي واعتمد في دراسة كثير منها على المنطق والتعليلات الفلسفية وكلمة الكسائي في هذا الجانب مشهورة، "حين سئل في مجلس يونس عن قولهم: لأضربن أيهم يقوم، فقال : أي كذا خلقت" هذا يدل على المنهج الكوفي الذي كان أكثر عزوفا عن التأويلات وخاصة البعيدة منها الذي يخالف الظاهر كما يدل عليه قول الكسائي حين سئل عن شذوذ (أي) الموصولة في استعمالاتها عن سائر أخواتها الموصولات، وهذا دليل على ساهل المنهج الكوفي من رئيسه الكسائي.

ثانيا: التوسع في السماع: فأصغوا إلى كل مسموع لهم وقاموا عليه فتعثرت بهم عجلة الرأي كما يقال ولم يدققوا دقيق البصريين بل تدرجوا وأخذوا بالشاهد الواحد ولو خالف ا لأصل المعروف المتفق عليه بين الغريقين، وهذا ا لأندلسي يقول عنهم: الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه بخلاف البصريين[2].

وقد يتساهلون مع هذا في التثبيت في معرفة القائل، وربما استشهدوا بشطر بيت لا يعرف شطره الآخر، ولا يعلم قائله، كدليلهم على جواز دخول اللام في خبر (لكن) بقول مجهول[3].

1- المدارس النحوية، شوقي ضيف ص 158.

2- السيوطي، الإقتراح في أصول النحوص 100.

3- وقد إستشهد في هذا البيت في: شرح المفصل ، يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين ص 1121و 1135.

1/ القياس الكوفي:

هنالك ثلاثة آراء للدارسين المحدثين في المنهج الذي سار في دربه الكوفيون في القياس هي[1]:

الرأي الأول:

يقول: إن منهج الكوفيين في هذه المسألة قريب إلى المنهج اللغوي وإن قياسهم أهدأ من القياس البصري الذي يقوم على المنطق والجدل الخالصين.

وبعد الدكتور مهدي المخزومي من أشد المتحمسين للمذهب الكوفي في هذه المسألة والمنتصرين له، حيث يقول: "وأسلوب الحجاج الكوفي كما يتصوره كتاب الإنصاف يؤيد ما سبق أن بينته في ثنايا الفصول السابقة، أعني إمعان الة وفيين في التتبع اللغوي، واعتدادهم بالسماع، وتمسكهم بالنصوص شعرا كانت أم نثرا" [2].

ويعزز الدكتور مذهبه هذا بأَن في (ا لإنصاف في مسائل الخلاف) مائة وإحدى وعشرين مسألة منها ثمان وخمسون تتعلق بالنحو بمعناه والباقية منها احتجوا لها بالسماع المؤيد بالقياس، ويقول في ذلك: فهذه ثمان وخمسون مسألة كان للنذل في احتجاج الكوفيين لهن المقام الأول...[3].

ومنهج الكوفيين في هذه المسألة عنده أقرب إلى ما يدعو إليه الدرس اللغوي النحوي من حيث الاعتداد التام بالسماع، والجنوح عن اتباع التأويلات البعيدة الن يخالفها الظاهر .

---

[1] الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر- دكتور عبد الفتاح الحموز، ، ط1 1418هـ 1997م، دار عمان، عمان، ص 91.

[2] مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والّنحو، مهدي المخزومي ص 366- 368.

[3] - مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والّنحو، مهدي المخزومي ، ص 367.

ومن أنصار هذا الرأي الدكتور أحمد مختار عمر الذي يعد المذهب الكوفي وفي أقرب إلى الحق والواقع ؛ لأنه أجاز القياس على المثال الواحد المسموع، بلا اكتراث بالقلة والكثرة، ويري أن أخطر ما يعيب المذهب الكوفي ما يمكن أن يتوافر فيه من الفوضى والاضطراب في ظواهر اللغة، ويتضح ذلك من خلال قوله: على الرغم مما في مذهب الكوفيين من بساطة ويسر، وبعد عن التكلف والتأويل التقدير الغالب فأخطر ما يصيبه أنه ربما يوقع في الفوضى والاضطراب في ظواهر اللغة[1].

الرأي الثاني:

يري أن للكوفيين بعض المواقف في اللجوء إلى القياس والتعليل على خلاف منهجهم الذي ارتضوا، ويعد الدكتور عبد الحميد طلب من أنصار هذا الرأي، والذي وسم قياسهم بأنه أهدأ من القياس البصري الذي يقوم على المنطق والجدل، حد يقول: "...والمتصحف لكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن ا لأنبار ي، يستطيع أن يري طائفة من هذه المسائل بني فيها الكوفيون رأيهم على القياس والأصول المنطقية، ولكن بطريقة أهدأ من القياس البصري القائم على المنطق والجدل الخالصين[2].

ويري أن الكوفيين لو استعملوا القياس على ما جاء في القرآن الكريم لوصلوا إلى غير ما وصلوا إليه.وممن وقف موقفاً وسطاً في هذه المسألة أيضاً الدكتورة خديجة الحديثية التي تؤكد أن الكوفيين قد اهتموا بالقياس كغيرهم، ولكنهم اتسعوا في الرواية عن العرب، وتساهلوا في شروط المروي، ومن روي عنهم[3].

الرأي الثالث:

[1] البحث اللغوي عند العرب- دكتور أحمد مختار عمر كلية دار العلوم – جامعة القاهرة 1988م ط 6 ص 116

[2] تأريخ النحو وأصوله،- عبد الحميد طلب مكتبة الشباب , القاهرة , د.ت ص 206.

3 الشاهد وأصول النحو في كتاب سبويه د. خديجة حديثي، مطبوعات جامعة الكويت ط1 - 1394هـ 1974م ص 229.

يقول: إن مذهب الكوفيين في السماع ليس صحيحاً، وإن مذهبهم في القياس ليس منظماً، ويعد سعيد الأفغاني أشد المتحمسين للمذهب البصري والمنتصرين له.

على المذهب الكوفي في هذه المسألة، إذ يعد قياسهم واهيا في بعض تعديلاتهم ، حيث يقول: أما قياسهم نفسه، ومقدار جودته فقد مر بك في المناظرات نمط منه ، وعرفت وهيه حين يعللون بالتوهم مرة في رسم (والضحي)[1].

وممن يعد قياس البصريين أصح من قياس الكوفيين من الدارسين المحدثين الدكتور عبد الرحمن السيد، ويتضح ذلك بجلاء في قوله: بهذا صح قياس البصريين ، بل كان أصح ا لأقيسة، كما كانت شواهدهم أصح الشواهد، ذلك أنهم جعلوا السماع الصحيح أساس القياس عندهم، فإذا وافق القياس السماع الصحيح كان ذلك الغاية عنده التي ليس فوقها غاية، وإذا خالف السماع الكثير القياس رجحوا جانب اد سماع على جانب القياس، إذ لا خير في قياس لا يؤده سماع... وعلى هذا لم يقد وا فيم ا وقع فيه الكوفيون، ولم تزلأ بهم أقدامهم إلى موطن الخطأ، فلم يجعلوا القياس وحده يتحكم فيهم[2].

ومنهم الدكتور شوقي ضيف، حيث يقول: ونحن نخلص من ذلك كله إلى أن المدرسة الكوفية توسعت في الرواية وفي القياس توسعاء جعل البصرة أصح قياساً منها؛ لأنها لم تقص على الشواذ النادرة في العربية[3].

منهج الكوفيون:

فهم توسعوا في ذلك حتى أخذوا بالشاهد النادر.

ويبدو ان توسع الكوفيين في القياس حال دونهم انتشار نحوهم وإنما كان نحوهم عبارة عن آراء متناثرة في كتب اللغة والنحو في مواضع الخلاف

[1] أستاذ سعيد أفغاني من تاريخ النحو، دار الفكر ص 72.

[2] مدرسة البصرة النّحوية : د .عبد الرحمن السيد , ط 1 مطابع سجل العرب , القاهرة 1388 هـ/1968 م، ص 205.

[3] مدارس نحوية، شوقي ضيف ص 163.

وفي تقديرنا أن مقياس قبول الرأي أو رفضه أو تصويبه أو تخطئته يجب أن يكون مقياس موضوعيا، فلا نقبل الرأي لقدمه ونرده لحداثته، نوسع له صدورنا لشهرته، ونصم آذاننا عنه لعدم ذيوعه، نتقيد به لأن رأي من أطلق عليهم جمهور النحاة أو ملوك النحاة أو المحققون من النحاة أو الأوائل من النحاة، ونضرب به عرض الحائط لأنه غير مرضي عنه من هؤلاء أو فريق منهم، وعلمنا أن الصواب يمكن في اتباع الدليل المستمد من الظاهرة نفسها موضوع الدراسة[1].

وهذا ابن فتيبة يقول في دراسته التي جمع فيها حوالي مائتين من شعراء:

"ولا نظرت إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظه، ووفرت عليه حقها"[2].

ويؤكد هذا المعني ما ينقله المبرد ممثلا به في إحدى قضايا الضمير من أنه ليس لقدم العهد بفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المعيب، ولكن يعطي لكل ما يستحقه[3].

بقول ابي عمرو بن العلاء كله في العربية ولكن ليس من أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك إلا النبي – صلى الله عليه وسلم[4].

وفي اعتقادنا أن معظم الدين جمعوا اللغة وشواهدها قد تحروا الصواب قدر ما استطاعوا، لكن جهودهم لم تكن مكللة بالصفاء والوثوق في جميع نواحيها فقد اقترنت بها عوامل نجم عنها بعض الشوائب وشيء من الانحراف، ومن هذه العوامل نذكر[5].

1- كان من جمعوا اللغة أن يسجلوا أكبر قدر من ألفاظها من شتى لغات العرب دون أن يهتموا كما يجب بتحديد هده اللغات وإيضاحها والفصل بينها ونسبتها إلى أصحابها دائما.

[1] قاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية – دكتور أحمد عبد العظيم عبد النبي، كلية دار العلوم، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1410هـ- 1996م، ص 19.

[2] شعر والشعراء أبن قتيبة دار الثقافة بيروت، 1964 م

[3] نقلا عن عباس حسن النحو الوافي دار المعارف مصر 1966، ط 3، جزء1 ص 230.

[4] ينظر طبقات فحول الشعراء ط1 ص16، ونزهة الألباء ،ابو البركات الانباري ص 31.

[5] الوسيط في تاريخ النحو العربي د. عبد الكريم محمد الاسعد' كليةالادب – جامعة الملك سعود. دار الشواف الرياض ، ص 20.

2- أخد بعضهم اللغة في بعض الأحيان عن الكتب، وقد كانت هده الكتب غير منقوطة، أو كان النساخ يغفلون عن نقطها، فنشأت عن ذلك أنواع من التصحيف والاختلاف .

3- لم يكن رواة اللغة على درجة واحدة من حيث التحري والثقة فيما يرون كما بينا سابقاً.

4- الشعر الموضوع الذي قصد به واضعوه أن يعززوا رأيا أو يبرهنوا به على وجه نظر، أو يتقربوا إلى الأمراء زلفي، وربما كان أبلغ دليل على ذلك : ما روي من أن المبرد سئل في مجس (عيسي بن ما هان) عن الشاة المجتمع.

أولا: السماع والقياس قال صاحب المستوفي: "...كل علم فبعضه مأخوذ بالسماع والنصوص وبعضه بالاستنباط والقياس والنحو بعضه مسموع مأخوذ من العرب وبعضه مستنبط بالفكرة والروية[1].

هذا القول يؤكد أهمية السماع والقياس في تقعيد النحو العربي ويعتبر إشارة واضحة إلى مكانتهما في الدراسات اللغوية بعامة والنحو بخاصة، ذلك النحو الذي كان في بدايته سماعيا ثم تحول قياسيا كان دراسة بدأت وسيلة إلى غاية ولكن سرعان ما أصبحت غاية في نفسها، كانت في مبدئها تقوم على الاستقراء والملاحظات فأصبحت بعد زمن تقوم على القاعدة والتطبيق[2]. فالأصل الأول من أصول النحو (السماع) ممن سلمت سليقته وصحت عربيته، أم الأصل الثاني فهو (القياس) الذي جاء من دقة نظر النحاة وفقهم لأسرار اللغة. ومن هذا المنطلق قدمنا السماع على القياس.

أ.السماع:

السَّماع في اللُّغة ، من سَمِعَ وهو مَا وَقُرَ في الأذن من شيء تسمعهُ، والسَّماعُ ما سَمِعْت بهِ فشاعَ ، وفي الحديث النبو يّ :من سَمَّعَ بعبدٍ سمّع الله بهِ[3]، أيّ من أذاعَ في الناس عيَبا على أخيهِ المسلم أظهر الله عيوبه ،ويقال : هذا قبيحٌ في السّماعِ ، وحَسُنَ سماعاً[4]

[1]- نقلا عن السيوطي، الإقتراح، ص 45، ومازن مبارك ، النحو العربي، العلمة نحوية ص 74.

[2]- محمود ع سلام تقعيد نحوي بين سماع وقياس رسالة ماجستير، جامعة قاهرة، كلية دار العلوم 1968م

3صحيح البخاري :أبو عبد الله البخاري :19/23 ولفظ ه قال النبي) صلى الله عليه واله وسلم)) : (من سمع الله بِهِ ومن يراني الله به

4ينظر : العين سمع348/1 وتهذيب اللُّغة سمع :أبو منصور الأزهري122/2-123 ولسان العرب ، سمع 27/10

والسَّماع هو الأصل الأول من أُصول الاستدلال النّحويّ ، والأساس الذي بُنيت عليهِ أغلب قواعد النّحو، عرّفهُ أبو البركات بن الانباريّ *ت 577 هـ*بقولهِ : هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج من حدَّ القلّة إلى حدَّ الكثرة[1] ، وقال فيهِ السيوطيّ :ما ثبت في كلام من يُوثق بفصاحتهِ ، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن: وكلام نبيّه صلى الله عليه واله وسلم ، وكلام العرب قبل بعثتهِ وفي زمنهِ وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولّدين، نضماً أو نثراً [2] وهو بهذا التعريف قد حددَ فيهِ ينابيع السّماع ومصادره ، ولم يبتعد يحيى الشاوي عن هذهِ التعريفات عندما ذهب إلى أنَّ المراد بالسّماع الكلام الذي أتُفق على فصاحتهِ[3]

فالسَّماع إذن يختص بالمنطوق من الكلام ، وبهذا كان السَّماع من أهم الوسائل في معرفة اللُّغة[4] ،وهو طريقٌ مهم ، اعتمد عليهِ اللّغويّون والنحاة القدامى . من بصريّن وكوفّيين . وجعلوهُ أساسا استندوا إليهِ في تقعيد القواعد[5]، واتفق اللُّغويّون والنحاة على أنَّ السّماع أصلٌ والقياس قائم عليه[6] وذهب الفخر الرازيّ ت 606 هـ إلى أنَّ الطريق إلى معرفة اللّغة هو النقل المحض[7]

ويُطلق النُّحاة على المادة المسموعة) الفصيح (، وهم يقصدون بذلكَ النصوص المأثورة بالنقاء اللُّغويّ ، وعدم التأثر بلغات الأمم الأُخرى[8]

وتبدو عناية النحاة بهِ ، في أنَّهم حرصوا على الترحال المستمر إلى البادية ؛ لسماع اللُّغة من الأعراب عن طريق المشافهة[9] ، لاعتمادهم عليهِ في تقعيد القواعد[10]

1الاغراب في جدل الاعراب : أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين الأنباري بتحقيق: سعيد الأفغاني , مطبعة الجامعة السورية, دمشق 1377هـ 1957م ص45، لمع الأدلة في أُصول النّحو ص81

2ارتقاء السيادة في علم أُصول النحو يحيى بن محمد أبو زكريا الشاوي المغربي الجزائري ت د.عبد الرزاق السعدي ، دار الأنبار ، العراق ، ط 1 ، 1411 هـ /1990م . الاقتراح في علم أصول النّحو ص 36

3ارتقاء السيادة في علم أُصول النحو ، يحيى بن محمد أبو زكريا الشاوي المغربي الجزائري ص47 .

4القياس النّحوي بين مدرستي البصرة والكوفة محمد عاشور السويح ص9

5المرجع نفسه ص 11

6الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث لـ : محمد حسين ال ياسين منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت1980 ص342

7المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي 115/1 .

8ينظر : الأصول97

9ينظر : الكتاب279/1 و 108/2 ’404 ، وإنباه الرواة على انباه النحاة256/2 ومعجم الأدباء : شهاب الدين ياقوت الحموي13 /169 13

10ينظر : الدراسات اللّغوية عند العرب حسن ال ياسين ص50

وذهب وعد محمد سعيد إلى أنَّ من مظاهر اهتمام العلماء بالسّماع عَدّهُ وسيلة لاستقراء اللغة وجمع الشواهد، وكذلكَ تحديد القبائل التي يحتج بكلامها ، حيث تتفاوت القبائل العربية في فصاحتها وسلامة لغتها[1]

وشاعَ في الدرس النحويّ تشدد نحاة البصرة في الأخذ بالنصوص، وتوسع الكوفييّن في ذلكَ[2]، فلم يسمعوا .أي البصريين . إلاّ من الفصحاء بشروط مشددة ، فكانوا لا يأخذون إلاّ من الثقات من الرواة، أو فصحاء الأعراب، آما حددوا سماعهم في قبائل قليلة كانت تقطن بوادي وسط وشرق الجزيرة[3] وهذهِ القبائل هي :قيس ، وتميم ، وأسد ، وهُذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين[4]

أما أهل الكوفة ، فقد توسعوا في السّماع عن جميع الأعراب ، غير أنهم لم يتخلوا عن شروط الفصاحة في النصوص التي أقاموا قواعدهم على أساسها، فتذهب الروايات إلى أنَّ الكسائي قد أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ [5]وصرّح الس يوطيّ بأنَّ الذي نقل اللّغة واللّسان العربيّ عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علما وصناعة ، هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب[6]

ولم يكن الكوفيون أقل من البصريين عناية بالرواية والحفظ والسّماع فهم علاّمون بأشعار العرب مطلعون عليها[7]

وربَّما كان الكوفيّون أكثر توسعاً في جمع اللغة من غيرهم، إذ لم يضيقوا واسعاً فلو سمع الكوفيون بيتًا واحداً فيهِ جواز شيء مخالف للأُصول جعلوهُ أصلاً وبوَّبوا عليهِ[8] ونفي د.مهدي المخزومي أن يكون

1الدراسات اللّغوية والّنحوية في شرح القصائد السبع رسالة 37 :، وينظر : البحث اللغوي والّنحوي في كتاب الزاهر أطروحة39

2أخبار الّنحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض : أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ت368هـ ,بتحقيق : محمد إبراهيم محمد البنا , ,ط , 1 دار الاعتصام , القاهرة 1409 , هـ 1989 / م ص71 ، والاقتراح في علم أصول النحو ص 128

3الشواهد والاستشهاد في الّنحو : د .عبد الجبار علوان النايلة) ت 2004 م ,ط 1 مطبعة الزهراء, بغداد 1396 هـ 1976 م ص18

4ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي 21/1، وفي أصول الّنحو : سعيد الأفغاني 211

5إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف ط2 ص 258

6المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ابو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ط1 ص212

7الاقتراح في علوم أصول الّنحو، ابو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ص84

8المصدر نفسه

يكون البصريّون أكثر تصلباً في الرواية من الكوفيين ، إذ قال فلم يكن هدا هو واقعُ الأمرِ، لأنَّ الكوفيّين كالبصريّن، كانوا يعنون العناية كلّها بسلامة اللُّغة وصحتها[1]

وذهبَ جعفر هادي الكريم إلى أنَّ الباحث المنصف لا يأخذ بمثل تلك الأقوال ؛ لذلكَ ردَّ الأقوال التي ذهبت إلى تشديد البصري يّن بالسّماع ، فقد وجدهم يأخذون من سُكان الحضر فضلاً عن الأرياف ، نحو أخذهم عن الأخطل ،والفرزدق ، وجرير ، وبشار بن برد[2] ، وقد استشهد سيبويه بشعر الأخير[3]

واحتج أيضّا بأنَّ سيبويه قد بنَى بعض الأحكام على أبياتٍ جُهلَ قائلوها[4] ، فلم يكن محترزاً فيها أو متشدداً في الأخذ بها[5]، و يؤخَذُ من هذا أنَّ الشاهد المجهول قائله وتتمتهُ ، إن صدر من ثقه يعتمد عليهِ ، قُبلَ ، وإلاّ فلا ؛ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحَّ الشواهد، اعتمد عليها خلفٌ بعد سلف، مع أنَّ فيها أبياتاً عديدة جُهل قائلوها وما عيب بها ناقلوها[6] ، مع أنَّهُ لا يجوز الاحتجاج بشعر او نثر لا يُعرف قائله عند البصريّين في ضوء ما نُسبَ إليهم[7]

ولكننا لا ننفي أن يكونَ لأهل الكوفة رخصٌ لا تكاد توجد لغيرهم من النّحويّين، غير أنّهم لا يبلغونَ بها مرتبة الإهمال للقواعد العامةّ[8]

ويبدو أنَّ حرصَ الكوفّيين على أن تكون الأصول خاضعة في شكلها النهائي للأمثلة المسموعة هو الذي أدى إلى شيوع مثل تلكَ الأحكام ، فقد كانوا يغيرون الأصول تبعاً لذلكَ المسموع، مما جعلهم

1مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو ، مهدي المخزومي ص384

2مذهب الكسائي في النحو : جعفر هادي الكريم , رسالة ما جستير , جامعة بغداد / كلية الآداب , بإشراف: د .أحمد ناجي القيسي 1389 هـ 1969م ص121-132

3تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب : أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري بتحقيق : د . زهير عبد المحسن سلطان , ط 2 مؤسسة الرسالة, بيروت 1415 هـ 1994 م ص 61-411 و الكتاب 9/1

4ينظر : المصادر أنفسها 9/1، 47/2، 61، 411

5ينظر : مذهب الكسائي في النّحو : جعفر هادي كريم ، رسالة ص 123-124

6خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي بتحقيق : عبدالسلام محمد هارون ط 1 مكتبة الخانجي , القاهرة 1399 , هـ 1408 - هـ 1988 / م ص 16

7ينظر : الأغاني ، ابو الفرج علي بن الحسن الاصفهاني 273/4، والاقتراح في علم أصول النّحو، جلال الدين السيوطي ص 55

8الوساطة بين المتنبي وخصوصه : للقاضي عليين عبد العزيز الجرجاني الناشر عيسى البابي الحلبي 1966م ص 466

أقرب إلى تصوير العربيّة تصويراً واقعياً، ونحوهم أكثر تمثيلاً للغة العربيّة بلهجاتها المختلفة[1]، وعلى أسس هذهِ السمات المنهجي عُدَّ المذهب الكوفيّ مدرسة نحوّية[2]

القياس

القياس في اللُّغة : التقدير ، فهو لفظٌ مأخوذ من(القَيْس) وهو بمنزلة القدر ، يقال عُودٌ قْيسَ إصبعْ إي قَدرَ إصبع، وقِسْ هذا بذاكَ قياساً، والمقياس : الِمقدار 3 ، وقِسْت الشيء : قدَّرتهُ على مِثالهِ4 ، ، وجاء في القاموس المحيط:قاَسه بغيره ، وقَاسهُ عليهِ ، يَقيسهُ قيسا ، واقتباسه : قَدَرَهُ على مِثَاله فانقاسَ5 ، وجاءَ في المعجم الوسيط أنَّ القياسَهو(ردُّ الشيءِ إلى نَظيرهِ)6

اما القياس اصطلاحا ’ فقال الرماني (ت 384هـ) بانه ((الجمع بين اول و ثان يقتضيه في صحة الاول صحة الثاني , وفي فساد الاول))7 وقال ابو الهلال العسكري (395هـ) فيه : ((ان القياس حمل الشيء في بعضِ أحكامهِ لوجهٍ من الشبهِ، وقِيلَ حَملُ الشيء على الشيءِ واجراءِ حكمه عليهِ ؛ لشَبَهٍ بينهما حاصلُ))8

وفصَّل أبو البركات الأنباري القول في معنى القياس مازجًا بين المعنى اللّغويّ والدّلالة الاصطلاحية بقولهِ اعلم أنَّ القياس في وضع اللّسان بمعنى التقدير ، وهو مصدر قاسيتُ الشيء بالشيء مقايسة وقياساً : قدرتُهُ ، ومنهُ المقياس ، أي : المقدار ، وقْيس رمح ، أي قدرُ رمح ، وهو في عُرف العلماء : عبارة عن تقديرِ الفرعِ بحكمِ الأصلِ، وقِيلَ :هو حملُ فرعٍ على أصلٍ بعلّةٍ، وإجراءُ

1مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو ، مهدي المخزومي ص 396

2ينظر : مدرسة الكوفة 349 ’376، والمدارس النّحوية د . خديجة 17 :، وفي المدارس النّحوية : د .محمد حسين ال ياسين ، بحث ، 67 .، والخلاف النّحو ي بين الكوفيين أطروحة3

3العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي بتحقيق : د .مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي م ,دار الرشيد للنشر , ودار الشؤون الثقافية بغداد, 1400 ط5 ص 189

4الصحاح , تاج اللغة وصحاح العربية : اسماعيل بن حماد الجوهري بتحقيق : أحمد عبد الغفور عطار , دار الكتاب العربي , القاهرة 1956 م جزء 3 ص 968

5القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المؤسسة العربية للطباعة, بيروت , د .ت. جزء 3 ص 181

6المعجم الوسيط : د .إبراهيم انيس وآخرون , ط 2 دار الفكر , بيروت 1390 هـ 1970 م ص486

7الحدود في النّحو : أبو الحسن علي بن عيسى الرمّاني بتحقيق : د .إبراهيم السامرائي ط 1 نشره ضمن رسالتان في اللّغة ,دار الفكر , عمان 1404هـ 1984 م ص38

8الفروق في اللغة : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكري تقديم , عادل نويهض ط 2 دار الآفاق الجديدة , بيروت 1397 هـ 1977 م م

حكمِ الأصلِ على الفرعِ ، وقيلَ : هو إلحاق الفرعِ بالأصلِ بجامعٍ ، وقيلَ: هو اعتبار الشيء بال شيء بجامع، وهذهِ الحدود كُلّها متقاربة [1] وأضافَ في الإعراب هو حَمْل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه ،كرفع الفاعل ونصب المفعول في كلِّ مكان ، وإنْ لم يكن كذلكَ منقولاً عنهم ، وإنما لّما كان غير المنقول عنهم من ذلك في معنى المنقول كان محمولا عليه' وكذلك كل مقدس في صناعة الأغراب[2]

فالقياس على ما يظهر من النصوص عبارة عن عملية عقلية يَتمُ فيها حملُ المنقولِ على غير المنقول، وَحَمْل المجهولِ على المعلومِ، وحَمَلُ ما لم يُسمعَ على ما سُمِع بعلّة جامعة بينهما[3] ، وقَال فيه) د.مهدي المخزوميّ (أنَّه) حَمْلُ ما يَجدُّ من تعبير على ما اختزنتهُ الذاكرة ، وحفظتهُ، ووعتهُ من تعبيرات وأساليب ، كانت قد عُرفتْ أو سُمعتْ[4]

ويعدُّ القياس في النّحو العربيّ أصلاً من الأصول التي قامَ عليها ، والسّمعة التي ميزتهُ ، حتّى عدَّه الكسائي عماد النّحو بقولهِ:

إنَّما النّحو قياسٌ يُتبع وبهِ في آلِّ عِلمٍ يُنتفع[5]

فالنحو كلُّهُ قياس ؛ لهذا قِيل في حدِّه : (النّحو علمٌ مُستخرجٌ بالمقاييسِ المستنبطةِ من استقراء كلام العرب)[6] ، وقال السيوطيّ : إعلم أنَّ إنكارَ القياس في النّحو لا يتحققُ ؛ لأنَّ النّحو كلُّهُ قياس[7])
7

والقياس يعتمد على السَّماع في عملهِ ، إذ إنَّهُ يمثلُ أحد أركانه ، و على الَّرغم من أنَّ القياس من أهم مقومات الاستدلال العقليّ ؛ فلا يُعدُّ من المباحث العقلية المحضة ؛ لأنَّهُ في حقيقتهِ.عملية استنباطية تعتمد على استقراء لغويّ ، أي أنَّ إحدى مقدمتيهِ نقلية سماعيّة[8]

---

1. 1لمع الأدلة في أصول النحو : أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري, بتحقيق سعيد الأفغاني , مطبعة الجامعة السورية ,دمشق 1377 هـ 1957 ص 93

2الإغراب في جدل الإعراب، ابو البركات عبد الرحمن كمال الدين الانباري ص 45-46 .

3ينظر : الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : د .خديجة الحديثي ص221

4في النّحو العربي نقد وتوجيه : د .مهدي المخزومي ,ط 2 دار الرائد العربي , بيروت 1406 هـ 1986 م ص 20

5بغية الوعاة 337 : ، ومعجم الأدباء 191/13 .

6لمع الأدلة في أصول النحو : أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الانباري ص 95

7الاقتراح في علم أصول النحو، ابو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي 95

8النزعة العقلية في الدراسات اللّغوية عند الفراء : وسام مجيد حابر البكري , أطروحة دكتوراه , الجامعة المستنصرية / كلية الآداب , بإشراف : د . نبهان ياسين حسين الدليمي 1418 , هـ 1998 / م ص 124

ووظيفة القياس استقراء اللّغة ، ووضع القواعد في ضوء ذلكَ ، ف* ما قيسَ على كلام العرب فهو من كلام العرب ، وفي ذلكَ يقول ابن جنيّ : إلاّ ترى أنَّكَ لم تسمع أنت ولا غيركَ اسم فاعل ولا مفعول ، وإنّما سمعت بعضها فقست عليهِ غيرهِ[1]

وتذهب د.غادة غازي عبد المجيد إلى *أنَّ القياس يمثل الجانب الذهنيّ من عملية بناء الأصول والقواعد بعد السَّماع والرواية؛ لذلك تجد النّحو العربيّ لا يستغني عنه ، ولا يكادُ مؤلفٌ يخلهُ، إذ لا بدَّ من اللجوء إليهِ لسن القوانين اللّغوية[2]، ولو اعتمد النحاة في تقعيد النّحو على النقل واقتصروا عليهِ لَفُقِدَ الكثير من مسائل اللُّغة ، ولأصبحَ الإلمام به عن طريق النقل أمراً مستحيلاً[3]).

ومراحلُ القياس تبدأ بعد أن ينقل اللّغويّ ما نطقت بهِ العرب من نصوص، لتأتي وظيفة النحويّ الذي ينصرف إلى ضبط تلكَ النصوص بعد استقرائها واستنباط القواعد منها ، على أن النحويّ كان ينهض بالوظيفتين معاً في المراحل المبكرة من نشأة علم النحو ، وليس القياس بعد ذلكَ من عمل النحويّ بل هو من عمل المتكلم ، وتنحصر مُهمة النّحويّ في استنباط القواعد ، وضبطها على وفق أصولٍ مبنية على استقراء النصوص اللّغويّة[4]

1الخصائص،ابو الفتح عثمان بن جني 357/1 .

2كتاب سيبويه في الدراسات الّنحوية الحديثة أطروحة106

3ظاهرة الجزم في اللّغة العربية : عبد الكاظم داخل عبد الكريم , رسالة ماجستير , جامعة بغداد / كلية الآداب , باشراف : د .أحمد ناجي القيسي 1403هـ 1983 م. ص40

4أصول النحو العربي ، محمد الحلواني دار النشر الاطلسي1981

المبحث الثاني

الحديث عن المدرسة البصرة هو الحديث عن النحو العربي منذ نشأته وحتى عصرنا الحاضر، فالذي لا شك فيه أن النحو بصورته المعروفة نشأة بصرية وذلك لا جدال فيه، ويرى أن نحاة البصرة الأولين ربما عرفوا أن لبعض اللغات الأجنبية نحوا فحاولوا أن يضعوا نحوا للعربية راجعين في ذلك إلى ملكاتهم العقلية التي كانت قدر رقيت رقيا بعيدا بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبية وخاصة الفلسفة اليونانية، وما يتصل بها من المنطق مما دعم عقولهم دعما قويا، وجعلها مستعدة لأن نستنبط قواعد النحو وعلله وأقيسته[1]، ويظهر أن كفل للبصرة من الصلة بهذه الثقافات في القرن الثاني للهجرة ما لم يكفل للكوفة وقد كانت البصرة مرفأ تجاريا للعراق على خليج العرب فنزلها عناصر أجنبية كثيرة أعدت في سرعة لوصلها بدقة فاتها المختلفة، كما أنها كانت أقرب من الكوفة إلى مدرسة جند نيسابور الفارسية التي كانت تدرس فيها الثقافات اليونانية والفارسية والهندية.

المعروف أن البصرة سبقت إلى وضع النحو ومنذ القرن الأول للهجرة واستمرت جهود المدرسة على أيدي أعلاها من الأوائل أمثال "ابن أبي إسحاق الحضرمي"، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو من العلاء ويونس بن الحبيب حتى الخليل بن أحمد وتلميذه سبوبه اللذان يعتبران بحق الوضعين للنحو العربي بصورته المعروفة، على هذه الشاكلة شادت البصرة صرح النحو ورفعت أركانه وظل التعصب شديدا للمدرسة البصرية منذ القدم، بل ظل موجودا عند عدد من الدارسين المعاصرين وبخاصة في مواجهة النحو الكوفي، يقول ابن سلام: "وكان لأهل البصرة في العربية قدمه وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية[2].

ويصرح ابن النديم في هذا الفصل تصريحا كثيرا وضوحا، إذ يقول في حديثه عن نحاة البصرة والكوفة "إنما قدمنا البصريين أولا لأن علم العربية عنهم أخذ"[3].

---

[1] المدارس النحوية،شوقي ضيف ص 20.

[2] طبقات فحول الشعراء –ابن السلام الجمحي بتحقيق محمود محمد شاكر دار المدني ، ص12.

[3] الفهرست، لابن النديم ص 102.

نشأة مدرسة البصرة

استقرأ العقل العربي السليقة السليمة لدورها المهم في الممارسات اللغوية والنحوية وخاصة في المراحل الأولى التي خطاء فيها العقل تجاه إيجاد .لقد حاز أبو الأسود قصب السبق في وضع أسس[1] البنية العلمية للنحو العلم قواعد النحو ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد. فهذب الصناعة وكمل أبوا. وأخذها عنه سيبويه فكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده. وثم وضع أبو علي الفارسي[2] وأبو القاسم الزجاج كتباً مختصرة للمتعلمين يحذون حذو الإمام في كتابه .ويرى د. شوقي ضيف أن أول نحوي بصري حقيقي نجد عنده طلائع ذلك هو ابن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ للهجرة، وهو ليس من تلاميذ أبي الأسود، ولكنه من الفراء، ومن الملاحظ أن جميع نحاة البصرة الذين خلفوه يسلكون في الفراء، فتلميذاه عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وتلميذا عيسى: الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب كل هؤلاء من القراء[3]

الذي لا شك فيه أن النحو بصورته المعروفة نشأ بصرياً وتطور بصرياً [4] ، يقول ابن سلام : كان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية ,ويصرح ابن النديم : إنما قدمنا البصريين أولاً لأن علم العربية عنهم أخذ [5]. وإن سبق البصرة لغيرها من المدن العراقية في علم النحو راجع لأسباب متعددة منها العامل السياسي حيث الولاء فيها عثماني أموي، وفي الكوفة علوي عباسي، وتمسكت كلتا البلدتين بما تدينت له .وما لحق ذلك من استقرار سيادي للأمويين في البصرة مكّن لهم أسباب العلم حتى انتقلت الخلافة إلى العباسيين بعد قرن من الزمان ، مما مكّن لهم المنافسة مع الخصم القديم من خلال جارتها الكوفة .ولقد كان للموقع الجغرافي للبصرة المحاذي لبادية العراق

1نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة, طلال علامة, دار الفكر اللبناني 1992م, ص176

2مقدمة ابن خلدون, عبد الرحمن بن خلدون, لبنان دار الكتاب العلمية (دون السنة), ص546 ، 548

3المدارس النحوية,شوقي ضيف ص18

4دروس في المذاهب النحوية ,دكتور عبد الراجحي ,دار النهضة العربية بيروت 1988م ,ص9

5المدارس النحوية، شوقي ضيف ص20

وقربهت إلى العرب الأقحاح أثر في تميزها اللغوي والنحوي .وقد سمح لها قدرة اتصالها بالثقافات الأجنبية الوافدة عبر البحار من الاستفادة من الخبرات غير العربية .أما مجالس العلم والمناظرة ووفود الشعراء إلى سوق المربد فكان له أثر أيضاً في السبق، حيث يأخذ اللغويون عن أهل اللغة ويأخذ عنهم النحويون ما يصحح قواعدهم[1].

وكان للقراءات وعلمها أثر في إضرام الرغبة في نفوس قراء البصرة كي يضعوا النحو وقواعده وأصوله ، حتى يتبين القارئ مواقع الكلم في آي الذكر الحكيم من الإعراب المضبوط الدقيق[2] . فقام أبو الأسود وتلاميذه باستقراء دقيق القواعد وتعليلها مشترطين صحة المادة التي يشتقون منها قواعدهم ، حتى أصبحت كل قاعدة أصلاً تقاس عليه الجزئيات ، وقد كدوا في ذلك فرحلوا إلى الصحراء حيث الينابيع الصافية للغة ، مستمدينها من قبائل كتميم وقيس وأسد وطيء وهذيل وبعض عشائر كنانة لما تتمتع به هذه من سلامة اللغة وخلوها من مؤثرات اللحن التي تعرض لها أهل الحضر .وكان للمعلمين. النجديين في البصرة أثر في مد علماء البصرة بالمادة اللغوية الصحيحة 3 ويرى د . المخزومي أن ظهور المذاهب في البصرة ، مهد لقيام حركة المعتزلة لمناهضة المذاهب والأديان التي أخذت تعبث بكيان الإسلام ، فعنوا بالنحو لأنه أداتهم للبيان الرفيع والتفوق على أصحاب النحل وزعماء المذاهب الأخرى في ظل انشغال أهل الكوفة بالميادين العسكرية والسياسية4. وقد خلف أبو الأسود خمسة " : عنبسة الفيل ت 100 هـ، وميمون الأقرن ت بعد 100 هـ، وابن أبي الأسود : عطاء أبو حرب، ويحي بن يعمرت129 هـ5،

ونصر بن عاصم ت 89 أو 90 هـ (أستاذ أبي عمرو بن العلاء .والأخيران ابن أبي الأسود ونصر بن عاصم استجابا لدعوة الحجاج. فوضعا نقطاً لإعجام الحروف يتم بوساطتها معرفتها بعضها من بعض [6] ويرجع اختلاف مورود المصادر التاريخية في تعيين سلسلة طبقة النحاة إلى

1المفيد في المدارس النحوية: إبراهيم عبود السامرائي ,دار المسيرة 2008م ,ص24-25

2 المدارس النحوية ، شوقي ضيف ,ص18

3نفس المرجع ,ص 18-19

4مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ,مهدي المخزومي ,دارالطبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ,رقم65، ط2 1958م ,ص64

5 فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح ,أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي ,تحقيق د .محمود فجال ,دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ,الإمارات 1423هـ 2002 م ,ص1157

6طلال علامة ,المرجع السابق ,ص 43-44

سببين يقررهما الدكتور أبو المكارم : أولهما أن المؤرخين، بل الرواة ظنوا التطابق بين التلميذ وأستاذه فأغفلوا بعض التلاميذ مثل قتادة بن دعامة السدوسي، وأبي نوفل بن أبي عقرب وأبي حرب بن أبي الأسود حيث كان لدى هؤلاء اهتمامات أخرى غير النحو كالأنساب والفقه والقرآن أو السياسة والإدارة كما كان أبو حرب .وثانيهما أن هؤلاء التلاميذ لم يضيفوا جديداً عما فعله الأستاذ، وانشغلوا بأمورهم الأخرى، وأما أولئك الذين استطاعوا متابعة ما بدأه أبو الأسود والإضافة إليه فلم يكن عليهم خلاف، والذي تمثل في خمسة :نصر بن عاصم وعنبسة الفيل وميمون الأقرن ويحيى بن يعمر وعطاء بن أبي الأسود[1]

وثم خلف هؤلاء : عبد الله بن أبي إسحق، وعيسى بن عمر، و "أبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، وأبو زيد الأنصاري[2] .ثم خلفهم :الخليل ففاق من قبله، ولم يدركه أحد بعده، أخذ عن عيسى وتخرج بابن العلاء.ثم أخذ عنه سيبويه، وجمع العلوم التي استفادها منه في كتابه، فجاء كتابه أحسن من كل كتاب صنف فيه إلى الآن .وأما الكسائي فقد خدم أبا عمرو بن العلاء نحواً من سبع عشرة سنة، لكنه لاختلاطه بأعراب الأُبلّة فسد علمه، ولذلك احتاج على قراءة كتاب " سيبويه " على الأخفش، وهو مع ذلك إمام الكوفيين ، ثم صار الناس بعد ذلك فرقتين :بصرياً وكوفياً .وقال ثعلب وأبو المنهال :أئمة البصرة في النحو وكلام العرب ثلاثة :أبو عمرو بن العلاء، وهو أول من وضع أبواب النحو، ويونس بن حبيب، وأبو زيد الأنصاري وهو أوثق هؤلاء كلهم، وأكثرهم سماعاً من فصحاء العرب[3]

منهج بحث مدرسة البصرة

إن البصريين كانوا أكثر حرية و أقوى عقلا و طريقتهم أكثر تنظيما و خطتهم هي الاعتماد على الشواهد الموثوق بها، الكثيرة الدوران على ألسنة العرب التي تصلح للثقة فيها أن تكون قاعدة تتبع . ولن يكون ذلك إلا إذا وردت في كتاب الله الكريم أو نطق بها العرب الخلص الذين اعترف لهم بالفصاحة لبعدهم عن مبطنة الخطاء، كالاتصال بالأعاجم سوءا بالرحلة أو الجوار، أو لرسوخ قدمهم في اللغة و تبصرهم بها، و اطلاعهم عليها ككبار العلماء و الأدباء، هؤلاء الذين يمكن أن توضع

1تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب, محمد المختار ولد أباه ,دار الكتب العلمية 2008م ,ص83

2 فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح ,أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي ,تحقيق د .محمود فجال ,دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ,الإمارات 1423هـ 2002 م ,ص1158

3نفس المرجع ,ص1158

أقوالهم موضع الاعتبار .لذلك لم يكن بدعا أن ترى السيوطى يقول، اتفقوا على أن البصريين اصح قياسا، لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع و لا يقيسون على الشاذ[1] في الحقيقة، نحاة البصرة تأثروا بالبيئة البصرية و نتهجوا المعتزلة و تأثروابهم في الاعتداد بالعقل و طرحوا كل ما يتعارض معه، فأهملوا الشواذ في اللغة، لهذا سمى نحاة البصرة أهل المنطق[2]

خصائص المنهج البصري:

تشكلت مدرسة البصرة على الأفكار التالية:

أولا: التشدد في أخذ اللغة عن أعراب البادية الأقحاح واشترطوا فيمن تؤخذ عنه اللغة الفصاحة، وقد كان هذا الشرط مصدر فخر لهم على الكوفيين، فقد قال الرياشي مفاخرا الكوفيين "إنما أخذنا اللغة حرشة* الضباب، وأكلة البرابيع*، وهؤلاء أخذوا اللغة وأهل الشواذ أصحاب الكواميخ* وأكلة الشواريز*[3] وقد قادهم تشددهم هذا إلى التحري عن الشواهد الفصيحة فقط.

ثانيا: الميل إلى اقتباس النحوي وكانت البصرة تسعى إلى أن تكون القواعد مطردة إطرادا واسعا، ومن ثم كانت تميل إلى طرح الروايات الشاذة دون أن تتخذها إطار لوضع قانون نحوي[4].

وكذا لم يعتمد البصريون إلى مد القياس المطلق مثلما عمل الكوفيون الذين قاسوا على الضرورات والشواذ من الأبيات المخالفة للأصول النحوية المقررة ففتحوا على أنفسهم بابا واسعا وأنهالت عليهم القواعد وانتشرت حتى لم يعد بالمستطاع حصرها[5].

ومعروف أنه لكي صياغة دقيقة لا بد له من إطراد قواعده وأن تقوم على الاستقراء الدقيق وأن نقوم على الاستقراء الدقيق وأن يكفل لها التعليل وأن يصبح له قاعدة أصلا مضبوطا.

تقاس عليه جزيئات قياسا دقيقا، وكل ذلك نهض به ابن أبي اسحاق وتلاميذه البصروي.

---

[1] المفيد في المدارس النحوية .ابراهيم السامرائي ,ص :19

[2] الخليل بن احمد الفراهيدى، اعماله و منهجه، ص 40

[3] السيرافي – أخبار اللغويين البصريين ص 68 أنظر السيوطي الاقتراح ص 202 وأبناه الرواه 371/2

[4] حرشة: جمع حارش ويقال حرش الضب أي صاده، * اليرابيع: مفرد يربوع وهو شبه القارة ولكن ذنبه وأذناه طويلان، *الكواميخ: وهو مخلل يشتهي الطعام به.

[5] الشواريز ج شيراز وهو اللين الرائب المصفى.

هذا وقد شدد البصريون في إطراد القواعد، وطردوا الشاذ ولم يعولوا عليه وكلما اصطدموا به خطأوه أو أولوه.

ثالثا: اعتداد العقل والمنطق، أطلق البصريون العنان لعقهم ولجأوا أحيانا إلى النظر المجرد، مما أدى بهم إلى عدم قبول الشواهد العربية إلا إذا كانت متواترة وتواترها يعني كثرة دورانها على الألسنة، فإذا وصلت هذه الشواهد إلى درجة من التواتر صح الأخذ بها واستنباطها القواعد منها.

رابعا: الاعتماد على القرآن الكريم وقراءته في وضع قواعدهم فقد كان القرآن وقراءته مددا لا ينضب لقواعدهم وقد توقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحدة وجودها لا تطرد مع قواعدهم، بينما تطرد مع قراءات أخرى وأثرها وقد توسع في وصف ذلك بعض المعاصرين فقال إنهم كانوا يردون بعض القراءات ويضعونها، كأن ذلك ظاهرة عامة، عند نحاة البصرة مع أنه لا يوجد في كتاب سبويه نصوص صريحة مختلفة تشهد على ذلك[1]. وربما نجد أن بعض بصري القرن ثالثا هم الذين طعنوا في بعض القراءات – وهي أمثلة قليلة لا يصح أن تتخذ منها ظاهرة ولا خاصة ولا عامة وقد كانوا يصفونها بالشذوذ ويؤولون ما وجدوا إلى التأويل سبيلا[2].

خامسا: إهمال الحديث النبوي عند استشهادهم، لم يحفل البصريون بالحديث، ولم يتخذوه إماما لشواهدهم وأمثلتهم بدعوى أنه روي بالمعنى ولأنه لم يكتب ولم يدون إلا بعد المائة الثانية من الهجرة ودخلت في روايته كثرة من الأعجام فكان من الطبيعي أن لا يحتجوا بلفظه وما يجري فيه من اعراب، وقد قال أبو الحياة الأندلسي: "إن الواضعين الأولين للعلم النحو المستقرين للأحكام بن أحمد الفراهيدي وسبوبه من أئمة البصريين لم يحتجوا بالحديث وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون"[3]

[1] ينظر مدارس نحوية، شوقي ضيف ص 19.

[2] ينظر البحث اللغوي عند العرب ص 18 والمدارس النحوية، شوقي ضيف ص 19.

[3] ينظر الاقتراح، ابو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ص 17.

سادسا: التأثر بالمعارف فقد تأثر البصريون بالمعارف تأثرا عميقا حتى شتموا أهل المنطق تمييزا لهم عن نحاه الكوفة[1]، وحتى أصبحت الصفة العامة للمذهب البصري أنه مذهب حاول أن يدخل مسائل النحو في يوتقة المنطق[2].

سابعا: الإكثار من التؤويل والتقدير والتوجيه، وقد كان نتاج طبيعي لتأثرهم بالمنطق فقد حرصوا على الحدود والرسوم ولذلك أكثروا من التأويل والتقدير والتوجيه حين يصطدم أصل من أصولهم بسماع غير مشهور في محاولة "حمل هذا السماع على ما يتمشى من قواعد المنطق العالم بالرغم من مخالفته المنطق اللغة وواقعها[3].

كما تمثل تأثرهم في ميلهم إلى اقتباس واعتدادهم به واعتمادهم عليه ولهذا امتنعوا عن القياس الشاذ لأنه من فصاحته قليل أو نادر كما امتنعوا عن القياس النظري عند انعدام الشاهد مما تقدم يمكننا وصف المنهج البصري بالقساوة والصرامة والتعقيد – أحيانا اعتمادا على مصادره ولتأثره بالمنهج الكلامي السائد آنذاك، ولتأثره بمادة اللغة لذاتها فالبصريون وجهوا اهتمامهم بهذه المادة إلى محاولة اخضاعها لما وصفوه من قوانين وقواعد لها وقد أدى هذا كله إلى تقنين أصول المذهب البصري في قوالب ثانية مضبوطة، وإلى وضع قواعد دقيقة حددة مما جعلها تتسم بالاطراد والتعميم وجعل نحوهم صارما يقل فيه التت ظاهرا عند الكوفيين وعندهم كثير منم الترخص واباحة[4]

وقد جاء تشددهم في الإلزام لما وضعوه من القوانين فلم يكترثوا بما جاء من كلام العرب مخالفا لها، ووقفوا منه مواقف تتأرجح بين الرفض الكامل له أو عده فن الشعر من قبيل الضرورة أو تأويله بما يتفق وقوانينهم أو عدة شاذا يحفظ ولا يقاس عليه حين لا يخضع لأنه فئة من الفئات السابقة[5].

[1] تاريخ الفلسفة الإسلامية ،دي بور ،د. محمد عبد الهادي ابو ريده، دار النهضة العربية بيروت ، ص 38.

[2] القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم ، دار النشر مؤسسة علي جراح الصباح ط2 ص 91.

[3] دراسات علم اللغة،كمال بشر ، دار المعارف، القاهرة ط2 1971م

[4] أبو على الفارس، عبد الفتاح سلبي ، دار نهضة القاهرة مصر 1388هـ ص441

[5] خطي متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، عفيف مشقية ، دار العلم للملايين بيروت 1980م ص 126.

وذهبوا في هذا الشاذ إلى أن قائله نحابه نحو خلاف ما يظهر منه وردوه إلى أصولهم بالتأويل، لأنه ينبغي حمل الأقل على الأكثر وليس العكس أو حفظوه إذا أعياهم تأويله ولم يقيسوا عليه، إذا اقتصروا على قبوله وحده، لأنه يسمع عن العرب فلا يسعهم إطراحه

الفصل الثاني

الطبقات النحوية و اختلافهم

طبقات النحويين البصريين

1. الطبقة الأولى:

1.1 نصر بن عاصم الليثي: المتوفى سنة 89هـ.

2.1 عنبسة بن معدان الفيل، المهري: لقب بالفيل لأن أباه كان يروض فيلا للحجاج، فغلب عليه اللقب ثم انتقل منه إليه، ولم نقف على تاريخ وفاته إلا أننا نعرف أنه عاصر الفرزدق[1] ، فلعل وفاته كانت حول المائة الأولى من الهجرة.

3.1 عبد الرحمن بن هرمز، وأبو داود الأعرج: المتوفى بالإسكندرية سنة 117هـ.

4.1 يحيى بن يعمر العدواني، أبو سليمان: وهو الذي قال له الحجاج الثقفي يوما: أتسمعني ألحن؟ قال: في حرف واحد، قال في أي؟ قال: في القرآن، قال: ذلك أشنع، ثم قال: ما هو؟ قال: تقول: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} فتقرأ "أحبُّ" بالرفع، قال الحجاج: لا جرم أنك لا تسمع لي لحنا بعد هذا ثم ألحقه بخراسان، فولاه يزيد بن المهلب القضاء بها، كان شيعيا، فصيحا بليغا، يستعمل الغريب في كلامه، توفي سنة 129هـ.

وهؤلاء الأربعة ما منهم إلا من عزي إليه وضع النحو في بعض الروايات.

وما من شك أن إعجام المصحف بالنقط لدفع التصحيف كان من نصر ويحيى بأمر الحجاج في عهد عبد الملك بعد إعجامه بالشكل لدفع التحريف من أستاذهما أبي الأسود في خلافة معاوية،

2. الطبقة الثانية:

1.2 ابن أبي إسحاق:

هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق زيد الحضرمي، البصري، اشتهر بكنية ولده، وكان مولى آل الحضرمي، أخذ عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وجد في هذا العلم حتى بلغ الغاية فيه، سئل عنه "يونس" فقال: "هو والنحو سواء"، كان أول من علل النحو، كما كان شديد التجريد للقياس والعمل به كما سلف، وعاصره "عيسى بن عمر الثقفي"، و"أبو عمرو بن العلاء"، وجمع بينه وبين أبي عمرو

1ومما هجاه به لروايته شعر جرير، قوله:ولقد كان في معدان والفيل زاجر..... لعنبسة الراوي علي القصائدا فسأل بعض عمّال البصرة عنبسة عن هذا البيت وعن الفيل فقال عنبسة: لم يقل و (الفيل) إنما قال: اللؤم، فقال: إن امرأً فررت منه الى اللؤم لأمر عظيم (السيرافي ص24

بلال بن أبي بردة عامل البصرة من قبل خالد القسري والي العراق لهشام بن عبد الملك، قال: "ابن سلام": "قال أبو عمرو: فغلبني ابن أبي إسحاق بالهمز، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه"، كان كثير السؤال للفرزدق "قال ابن هشام: قد حضر يوما مجلس عبد الله فقال له كيف تنشد هذا البيت:

وعينان قال الله كونا فكانتا..... فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

فأنشده "فعولان"، فقال له عبد الله: ما كان عليك لو قلت: فعولين؟ فقال الفرزدق: لو شئت أن أسبح لسبحت ونهض فلم يعرفوا مراده، فقال عبد الله: لو قال فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما، ولكنه أراد أنهما وتفعلان ما تفعل الخمر[1]"ثم تدرج الأمر بعبد الله إلى إعنات الفرزدق في شعره نفسه إذ عابه في قوله:

وعض زمان يابن مروان لم يدع..... من المال إلا مسحتا أو مجلفُ[2]

فقال له: بم رفعت "أو مجلف"؟ فقال له: بما يسوءك وبنوءك، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا، كما عابه في قوله:

مستقبلين شمال الشام تضربنا..... بحاصب كنديف القطن منثور[3]

على عمائمنا يلقى وأرحلنا..... على زواحف تزجي مخها رير[4]

فقال: إنما هو "رير" بالرفع، وإن رفع أقوى، فوجد عليه الفرزدق، وقال: أما وجد هذا المنتفخ الخصيين لبيتي مخرجا في العربية؟ أما لو أشاء لقلت:

على عمائمنا يلقى وأرحلنا..... على زواحف نزجيها محاسير

ولكني والله لا أقوله، ثم هجاه بقوله:

ولو كان عبد الله مولى هجوته..... ولكن عبد الله مولى مواليا[5]

فقال عبد الله: عذره شر من ذنبه، فقد أخطأ أيضا، والصواب: مولى موال توفي سنة 117هـ.

1الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين السيوطي ، دار الكتاب العلمية 1403 -1983م ، الفن السابع، فن المناظرات والمجالسات إلخ، والبيت من قصيدة طويلة لذي الرمة.

2راجع مقدمة الشعر والشعراء، نقد الشعر' الخزانة شاهد 357،

3راجع السيرافي (ص26) بلفظ (منظور) بالشين.

4راجع الشعر والشعراء، المبحث السابق. لذا اعترف الفرزدق مع المكابرة فقال نزجيها محاسير، والمحاسير جمع محسور أي متعب. والبيتان من قصيدة في مدح يزيد بن عبد الملك وهجاء يزيد بن المهلب (راجع ايضا أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 26-27

5شرح المفصل ، يعيش بن علي يعيش موفق الدين ص 35.

2.2 عيسى بن عمر الثقفي البصري:

هو أبو عمر مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف فنسب إليهم، أخذ عن ابن أبي إسحاق وغيره، وكان مولعا بالغريب والتشادق، استودعه بعض أصحاب خالد القسري والي العراق لهشام بن عبد الملك وديعة، فلما نزع خالد عن ولاية العراق وتقلدها يوسف بن عمر الثقفي استدعاه من البصرة لأخذ الوديعة فأنكرها ولما اشتد عليه ضرب السياط جعل يقول: "والله إن كانت إلا أثيابا في أسيفاط قبضها عشاروك[1]"، وروي أن الضارب له عمر

بن هبيرة الفزاري أمير العراق من قبل خالد بن عبد الله،وقد لزمته علة من ذلك الضرب بقية حياته، وهو صاحب الكتابين المشار إليهما سابقا. توفي سنة 149هـ[2].

3.2 أبو عمرو بن العلاء[3] :

هو زيان بن العلاء بن عمار المازني التميمي، قال ياقوت: "واختلف في اسمه على أحد وعشرين قولا، والصحيح أنه زبان لما روي أن الفرزدق جاء معتذرا إليه من هجو بلغه عنه، فقال له أبو عمرو:

هجوت "زبان" ثم جئت معتذرا .....من هجو "زبان" لم تهجو ولم تدع

فاعتذر إليه الفرزدق وامتدحه بمقطوعة منها قوله :ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها حتى أتيت أبا عمر بن عمار[4]

أخذ النحو عن نصر بن عاصم وغيره واشتهر بالقراءات والعربية وأيام العرب ولهجات القبائل.

ومن الطريف لهذه المناسبة أن عيسى بن عمر جاءه متعجبا من تجويزه "ليس الطيب إلا المسك" بالرفع، فقال له أبو عمرو: نمت يا أبا عمر وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب،

1خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي الشاهد التاسع.

2وقد أخذ عنه الخليل بن احمد، وله كتابان في النحو سمي احدهما: (الجامع) والآخر (المكمل) فقال الخليل بن احمد: ذهب النحو جميعا كله ..... غير ما أحدث عيسى بن عمر ذاك الكمال وهذا الجامع..... فهما للناس شمس وقمر وهذان الكتابان ما وقعا الينا ولا رأيت أحدا يذكر أنه رآهما ص31- 32

3هو احد القراء السبعة فهو قارئ اهل البصرة، راجع ترجمته مفصله في (معرفة القراء الكبار) للذهبي.

4البيت من شواهد سيبويه في ج2 على حذف التنوين من عمرو ص148 وعلى دخول أفعلت على فعلت ص237 وعلى الأول استشهد به ابن يعيش في باب العلم وعلى الثاني أدب الكاتب كتاب الأبنية معاني أبنية الأفعال والرضي على الشافية راجع الشاهد رقم 16 والبيت من ثلاثة أنشأها له لما صعد إلى غرف ووصل إليه.

وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع، ثم أرسلا اليزيدي وخلفا الأحمر للتثبت من العرب، فكان كما أخبر أبو عمرو، فأخرج عيسى خاتمه من يده وقال: ولك الخاتم، بهذا والله فقت الناس[1].

لكنه مع هذا لم يخلف أثرا مكتوبا، ذلك أنه لما تنسك أحرقها وتفرد للعبادة، توفي رحمه الله في الكوفة عائدا من دمشق سنة 154هـ[2].

3. الطبقة الثالثة:

1.3 الأخفش الأكبر:

هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة، من أهل هجر أول الأخافشة الثلاثة المشهورين، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وطبقته، ولقي الأعراب فأخذ عنهم، قال الرضي: في شرحه على الكافية باب أسماء الأفعال المنقولة من الظروف: "وسمع أبو الخطاب من قيل له: إليك فقال إلي" وتوفى سنة 177هـ.

2.3 الخليل بن أحمد:

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، الأزدي، ولد بالبصرة، وشب على حب العلم، فتلقى عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي وغيرهما، ثم ساح في بوادي الجزيرة العربية، وشافه الأعراب في الحجاز ونجد وتهامة، إلى أن ملأ جعبته ثم آب إلى مسقط رأسه البصرة، واعتكف في داره دائبا على العلم ليله ونهاره هائما بلذته الروحية، فنبغ في العربية نبوغا لم يسبق إليه، وبلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو، قال الزبيدي: "وهو الذي بسط النحو ومد أطنابه، وسبب علله، وفتق معانيه، وأوضح الحِجاجَ فيه، حتى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى أبعد غاياته، ثم لم يرض أن يؤلف فيه حرفا أو يرسم منه رسما ترفعا بنفسه وترفعا بقدره إذ كان قد تقدم إلى القول عليه والتأليف فيه، فكره أن يكون لمن تقدمه تاليا، وعلى نظر من سبقه محتذيا، واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه، ولقنه من دقائق نظره، ونتائج فكره ولطائف حكمته، فحمل سيبويه ذلك عنه، وتقلده وألف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدم قبله، كما امتنع على من تأخر بعده[3]"

---

1 نزهة الالباء في طبقات الادباء، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن الانباري ص 35

2 ترجمته في المعاجم المرتبة أبجديا في العين إلا في معجم الأدباء وفوات الوفيات ففي الزاي، وراجعها في شرح شواهد الشافية رقم 16، ودائرة المعارف الإسلامية.

3 أول كتابه: استدراك الغلط الواقع في كتاب العين، ونقل هذا الكلام في المزهر النوع الأول المسألة السادسة عشرة.

فلا غرو أنه لولا تعهد الخليل النحو في نشأته لبعد عنه طور النضوج والكمال، فللخليل فضل النهوض به كما لأبي الأسود فضل تكوينه، نعم قد اتفقت كلمة العلماء

على أن الخليل واضع فن الموسيقى العربية، وواضع علم العروض والقافية، وأول من دون معجما في اللغة بتأليفه "كتاب العين" وله بعدئذ مأثرة الشكل العربي المستعمل الآن، وله مؤلفات أخرى في غير اللغة أيضا، كان رحمه الله في فاقة وزهد لا يبالي الدنيا، بينما الناس محظوظون بها من علمه وكتبه، وجه إليه سليمان بن علي عم أبي العباس السفاح والي فارس والأهواز رسولا لتأديب ولده، فأخرج الخليل إلى الرسول خبزا يابسا وقال: ما دمت أجده فلا حاجة بي إلى سليمان، فقال الرسول: فما أبلغه عنك؟ فقال أبياتا مطلعها:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة..... وفي غنى غير أني لست ذا مال

توفي رحمه الله بالبصرة، متأثرا بصدمة في دماغه من سارية سنة 175هـ على الأصح.[1]

3.3 يونس:

هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي مولى بني ضبة، أخذ عن أبي عمرو وغيره، وواجه العرب فسمع منهم حتى غدا مرجع الأدباء والنحويين في المشكلات، وكانت له حلقة دراسة في المسجد الجامع بالبصرة يؤمها العلماء والأدباء وفصحاء الأعراب، وله مذاهب خاصة في النحو، منتشرة في كتبه، من ذلك قول سيبويه في باب ما يتقدم فيه المستثنى: "وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون: "مالي إلا أبوك أحد" فيجعلون أحدا بدلا، كما قالوا: ما مررت بمثله أحد فجعلوه بدلا"، وقول الرضي في الكلام على "ما" الحجازية: "ونقل عن يونس أنه يجوز إعمالها مع انتقاض نفيها بإلا" وله مصنفات كثيرة في غير النحو، قضى حياته ولم يتزوج ولم يتسر، وأخباره مستفيضة في كتب التراجم، توفي بالبصرة سنة 182هـ[2]

1وقال السيرافي (ص25): ويقال أن الاصمعي كان يحفظ ثلث اللغة وكان الخليل يحفظ نصف اللغة وكان ابو مالك بن كركرة يحفظ اللغة كلها.

2قال السيرافي: كان يونس مات سنة ثلاثة للهجرة وثمانين ومائة ص48

4. الطبقة الرابعة:

1.4 سيبويه:

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، ولقب بسيبويه "رائحة التفاح" لأن أمه كانت ترقصه بذلك في صغره، ولد بالبيضاء "بلد بفارس" من سلالة فارسية، ونشأ بالبصرة ورغب في تعلم الحديث والفقه، إلى أنه لحقه التأنيب ذات يوم بشأن حديث شريف من شيخه حماد البصري، قال ابن هشام: "وذلك أنه جاء إلى حماد بن سلمة لكتابة الحديث، فاستملى منه قوله – صلى الله عليه وسلم–: "ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء"، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فصاح به حماد: لحنت يا سيبويه إنما هذا استثناء، فقال سيبويه: والله لأطلبن علما لا يلحنني معه أحد، ثم مضى ولزم الخليل وغيره[1]"

فكما أخذ عن الخليل أخذ عن يونس وعيسى بن عمر وغيرهم، وبرع في النحو حتى بز أترابه فيه، فاحتفى به علماء البصرة التي صار إمامها غير مدافع، وأخرج للناس كتابه الذي أكسبه فخار الأبد، فإنه شاهد صدق على علو كعبه في هذا الفن.

ولقد قدر لهذا العبقري أن تكون منيته في أمنيته، حببت إليه التوجه إلى بغداد لمنازلة الكسائي الذي كان ينفس عليه ما نال من جاه كبير ومال وفير، ثقة منه بالظفر عليه، فتلاقى القرينان وجرت بينهما تلك المناظرة المشئومة التي سلف الكلام عليها، فخاب الأمل، وفارق سيبويه بغداد مقهورا، وعز على نفسه أن يعود إلى البصرة بعد هذا الخزي والخذلان، فاستقدم تليمذه أبا الحسن الأخفش في طريقه إلى بلده في فارس، وبث إليه حزنه، وما كاد يرد بلده حتى اشتدت علته، فمات في ريعان شبابه قبل جل شيوخه رحمه الله سنة 188هـ.

2.4 اليزيدي:

هو أبو محمد يحي بن المبارك بن المغيرة العدوي، مولى بني عدي، نشأ بالبصرة وتلقى عن "أبي عمرو بن العلاء وابن أبي إسحاق والخليل ويونس" وغيرهم، ثم اشتهر فضله فيها وعرف باللغة والنحو وأخبار الناس، وعرضت فتنة بالبصرة اقتضت اختفاءه عنها، ثم ظهر بعد في بغداد عند يزيد بن منصور الحميري خال المهدي فأدب أولاده ونسب إليه ولقب باليزيدي من هذا الحين، وسرى هذا

[1] شرح شواهد المغني : أبو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي 911 هـ ,لجنة إحياء التراث العربي , القاهرة , د .ت.

اللقب في أولاده وأحفاده من بعده، ولم يلبث أن وصله يزيد بالرشيد فاختصه بأدب المأمون كما كان الكسائي يؤدب الأمين، وصار اليزيدي يدرس في مساجد بغداد كما يدرس الكسائي، فتولدت بين الشيخين المنافسة، وتطلع كل منهما لغلب الآخر، فحدثت المناظرات بينهما، وكان اليزيدي مظفرا في أغلبها، وقد أسلفنا القول على إحداهما، ولما مات الكسائي قبله لم يقصر في رثائه، كان اليزيدي مع علمه أديبا شاعرا له مجموعة شعرية فيها شعر كثير في مدح النحاة البصريين وهجاء الكوفيين، وسنذكر بعضا منها في الكلام على المذهب الكوفي بمشيئة الله تعالى، وله مؤلفات متنوع العلوم، منها مختصر في النحو وقد بورك له في نسله فكان العلم والأدب والفضل في أبنائه وحفدته، توفي رحمه الله بمرو سنة 202هـ.[1]

5. الطبقة الخامسة:

1.5 الأخفش:

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع بن دارم "بطن من تميم" أوسط الأخافشة الثلاثة المشهورين، فقبله أبو الخطاب الأخفش الأكبر شيخ سيبويه الذي سلفت ترجمته، وبعده أبو الحسن الأخفش الأصغر تلميذ المبرد وثعلب وستأتي ترجمته، وأشهرهم ذكرا في النحو فلذا ينصرف إليه الحديث عن ذكر الأخفش مجردا من الوصف في كتب النحو، فإن قصد غيره وجب ضم الأكبر أو الأصغر إليه على وفاق المطلوب، ولد ببلخ وأقام بالبصرة لطلب العلم وتلقى مع سيبويه عن جل شيوخه سوى الخليل، ثم أخذ عنه بعد المشاركة مع كبر سنه عنه فكان أنحى تلاميذه، وكان ضنينا بكتاب سيبويه لنفاسته حتى ظن به ادعاؤه لنفسه لأن سيبويه لم يقرأه على أحد ولا قرأه عليه أحد ما عداه، قال: ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا عرضه علي وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه، فتشاور تلميذا الأخفش: "الجرمي والمازني" على الحيلولة بينه وبين ما ظن فيه بترغيبه في المال إذ كان الجرمي مثريا فقرآه عليه وظهر الكتاب، فليس للكتاب طريق إلا الأخفش، فإليه يرجع الفضل في استبقائه كما يرجع للكتاب الفضل في إقبال العلماء على الأخفش [2].

1الأغاني : أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني ت 356 هـ ,ط 4 دار الثقافة , بيروت،1393 هـ 1973 م، ص210

2شرح كتاب سيبويه : لأبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، حقق الجزء 1 : د رمضان عبدالتواب ، ود فهمي حجازي،و د محمد هاشم عبدالدايم، 1986 م، وحقق الجزء 2 : د رمضان عبدالتواب 1990م. ص51

لما قفل سيبويه من بغداد بعد خذلانه في المناظرة الماضية استشخص تلميذه الأخفش في طريقه إلى الأهواز لما سبق أنه ولى وجهه عن البصرة خزيا وشكا إليه بثه وحزنه مما هاضه، فتحرش الأخفش بالكسائي ووصل بغداد في الغلس وصلى خلف الكسائي الغداة في مسجد، ثم سأله أمام تلامذته "الفراء والأحمر" وغيرهما وخطأه في إجابته حتى هم التلامذة بالوثوب عليه فمنعهم الكسائي وقال له: بالله أما أنت أبو الحسن بن سعيد بن مسعدة؟ فقال: بلى، فقام إليه وعانقه وأجلسه بجنبه وأكرم مثواه، فاستحال تحرشه محبة له وأقام عنده ينعم بالحياة السعيدة الجديدة، وبقي في جواره ببغداد بقية حياته، وصار مؤدب أولاده وقرأ له كتاب سيبويه سرا، وقد تغيرت لذلك عصيبة الأخفش حتى وافق الكوفيين كثيرا في آرائهم فكان أكثر البصريين موافقة للكوفيين، وكتب النحو ملأى بالمسائل التي وافقهم فيها.

وبعد فالمخالفات التي خرج فيها عن الفريقين معتمدا على قياسه النظري غير متقيد فيها بقانون السماع كثيرة جدا، ولهذا يقول الرضي: "وأجاز الأخفش الكسر أيضا في "الم الله" قياسا لا سماعا كما هو عادته في التجرد بقياساته على كلام العرب الذي أكثره مبني على السماع[1]"

على أنه كان لتحلله من التقليد أثره في آرائه، فكثر ما كان له في المسألة الواحدة رأيان فصاعدا، قال ابن جني: "وقد كان أبو الحسن ركابا لهذا الثبج آخذا به غير محتشم منه، وأكثر كلامه في عامة كتبه عليه، وكنت إذا ألزمت عند أبي علي رحمه الله أن أقول لأبي الحسن شيئا لا بد للنظر من إلزامه إياه، يقول لي: مذاهب أبي الحسن كثيرة إلخ[2]."

وله مؤلفات كثيرة منها في النحو: المقاييس، والأوسط، توفي ببغداد سنة 215هـ.

2.5 قطرب:

هو أبو علي محمد بن المستنير، نشأ بالبصرة وتلقى عن "عيسى بن عمر وسيبويه" وغيرهما إلا أن اتصاله بسيبويه أكثر، كان كلما خرج سيبويه من بيته سحرا وجده على بابه فقال له: إنما أنت قطرب ليل، فأطلق عليه ولصق به، حذق الجدل والكلام ومال إلى مذهب المعتزلة النظامية، له تصانيف كثيرة، منها في النحو "كتاب العلل"، توفي ببغداد عام 206هـ.

1شرح الرضي لكافية، محمد بن الحسن الاسترابادي السمنائي النجفي الرضي،الناشر جامعة محمد بن سعود ، السعودية، التقاء الساكنين، الأصل في تحريك أول الساكنين الكسر.

2الخصائص باب في اللفظين عن المعنى الواحد يرادان عن العمل متضادين

6. الطبقة السادسة:

1.6 الجرمي:

هو أبو عمر صالح بن إسحاق مولى بني جرم من قبائل اليمن نشأ بالبصرة فتعلم عن شيوخها النحو واللغة، وسمع من "يونس والأخفش الأوسط" ولم يلق "سيبويه[1]"، وزامله في عصره وتلقيه المازني، وإليهما انتهت الرياسة النحوية، وسبق أنهما ذوا الفضل في إظهار الكتاب على يد شيخهما الأخفش، كان الجرمي أديبا شاعرا ديِّنا صحيح العقيدة، وله مناصرة مع الفراء، ومصنفاته كثيرة، منها في النحو مختصره المشهور لدعائه له بالبركة، وكتاب "فرخ كتاب سيبويه" ورد بغداد وأقام فيها حتى قضى نحبه سنة 225هـ.

2.6 التوزي:

هو أبو محمد عبد الله بن محمد مولى قريش من توز "بلد بفارس"، أخذ عن "الجرمي" كتاب سيبويه، واشتهر باللغة والأدب فكان أعلم بالشعر من المازني والرياشي[2] ، توفي ببغداد سنة 238هـ.

3.6 المازني:

هو أبو عثمان بكر بن محمد مولى بني سدوس، ولد بالبصرة، وتربى في بني مازن بن شيبان فنسب إليهم، وأخذ عن "أبي عبيدة وأبي زيد والأخفش" وغيرهم، مع مشاركة رفيقه الجرمي، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، وما لبث أن صار علم البصرة الخفاق. وقال الناس: لم يكن بعد سيبويه أعلم من المازني بالنحو، ساعده على نبوغه قوة بيانه وأدبه، فكان له الفلج في الحجاج، وقد تغلب على الأخفش مع تلقيه عنه. استقدمه من البصرة أمير المؤمنين هارون الواثق إليه في "سامرا" مقر الخلافة آنذاك لما أنشد مخارق قول الحارث بن خالد المخزومي:

أظليمُ إن مصابكم رجلا ..... أهدى السلامَ تحيةً ظلمُ[3]

1كتاب سيبويه على الأخفش السيرافي ص72

2أخبار النّحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض : أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ت368هـ ,بتحقيق : محمد إبراهيم محمد البنا , ط 1 دار الاعتصام , القاهرة 1409 , هـ 1989 م(ص85-87)

3البيت المذكور من شواهد النحاة في المصدر الميمي، وحادثته مع ما نجم عنها من الحظوة عند الخليفة مفصلة في الاغاني: أخبار الحارث، وفي المغني الباب الخامس آخر الجهة الأولى، وفي الوفيات، وكذلك معجم الأدباء وإنباه الرواة مع تفصيل الأسئلة التي وجهها المازني، ونقل كل ذلك في شرح درة الغواص عند الوهم 60.

بنصب رجل، ورأى علماء الكوفة حوله رفعه مع تمسك مخارق بإنشاده رواية عن المازني، فلما قدم المازني أوجب النصب مدللا عليه في حديث طويل، فأصاب نجحا عظيما عند الواثق، ثم حمله الواثق على اختبار العلماء فوقفوا من المازني على علم جم، ورغبه الواثق في البقاء فاعتذر، وعاد أدراجه إلى البصرة مرعي الجانب من الواثق ثم من أخيه المتوكل بعده، والمازني على طول باعه أبى التصنيف في النحو إذ كان يقول الكلمة المتقدمة في كتاب سيبويه: "من أراد أن يصنف كتابا واسعا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحيي"، نعم، ألف كتابا في علل النحو، وكتاب التصريف، وله كتب أخرى في غير النحو، توفي رحمه الله بالبصرة سنة 249هـ على الأشهر[1] .

4.6 أبو حاتم السجستاني:

هو سهل بن محمد، نشأ بالبصرة، وأخذ عن "أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة" وقرأ كتاب سيبويه مرتين على الأخفش[2]، ثم نبه شأنه فانتفع الناس بدراسته، إلا أنه لم يكن حاذقا بالنحو، له مصنفات مختلفة منها إعراب القرآن، وكتاب الإدغام، توفي سنة 250هـ [3].

5.6 الرياشي:

هو أبو الفضل العباس بن الفرج مولى محمد بن سليمان الهاشمي، ولقب بالرياشي لأن أباه كان عبدا لرجل من جذام اسمه رياش فانتقل اللقب من أبيه بعد الشهرة إليه. نشأ بالبصرة وأخذ النحو عن المازني وسمع منه كتاب سيبويه، واللغة عن الأصمعي، ثم صار من كبار النحاة واللغويين، له تصانيف ليس منها كتاب نحو، قتل وهو يصلي الصبح قائما في الفتنة المشؤومة "موقعة الزنج" بالبصرة المضروب بها المثل المشهور، كان دخولهم فيها وقت صلاة الجمعة في شوال سنة 257هـ[4] .

1أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد الحسن بن عبد الله للسيرافي ص 74-85

2المرجع السابق، ص93

3أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ص (93-96).

4سبقت إشارتنا الى ترجمته عند السيرافي ص 89-93

7. الطبقة السابعة:

1.7 المبرد[1] :

هو أبو العباس محمد بن يزيد من بنى ثمالة "بطن من أزد شنوءة" ولد بالبصرة وأخذ عن "الجرمي والمازني وأبي حاتم" وغيرهم إلا أن أغلب تلقيه عن المازني، ثم نبه قدره في البصرة وانتهت إليه الرياسة حتى قال الناس: ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه. فأما سبب تلقيبه بالمبرد فقال ياقوت: "وإنما لقب بالمبرد لأنه لما صنف المازني "كتاب الألف واللام" سأله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المبرد "المثبت للحق" فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء"، آراؤه في النحو مستفيضة في الكتب.

كان غير متقيد برأي المذهبين: البصري والكوفي، متى بدا له رأي آخر، فمن ذلك على سبيل التمثيل منعه تقديم خبر ليس عليها، قال ابن جني بعد مقدمة يعيب فيها اللائمين على المتفرد برأي جديد: "وذلك كإنكار أبي العباس جواز تقديم خبر ليس عليها، فأحد ما يحتج به عليه أن يقال له أجاز هذا مذهب سيبويه، وأبو الحسن وأصحابنا كافة، والكوفيون أيضا معنا، فإذا كان إجازة ذلك مذهبا للكافة من البلدين، وجب عليك يا أبا العباس أن تنفر عن خلافه. إلخ[2] ."

ومن آرائه الغريبة تجويزه ظهور "كان" بعد "أما" في نحو: أما أنت منطلقا انطلقت، قال الرضي: "وأجاز المبرد ظهور كان على أن "ما" زائدة لا عوض ولا يستند ذلك إلى سماع"، كما أنه كان كثيرا ما يخطئ بعض الأساليب لسعة أفقه في الاطلاع، فمن ذلك على سبيل المثال إنكاره وقوع الضمير المتصل بعد لولا مثل: لولاي ولولاك ولولاه ونحوها، فقد ذكر بعد كلام رد به تخريجي سيبوبه والأخفش لها ما نصه: "والذي أقوله إن هذا خطأ لا يصلح لا أن نقول: لولا أنت، كما قال الله عز وجل: {لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ [3] {وتعقبه لسيبويه مشهور، وقد ذكرنا شيئا منه في الكلام على الكتاب.

استشرفت نفسه بغداد فاتصل بالخلفاء والأمراء ينافس ثعلبا إمام الكوفيين ذا المكانة في بغداد فوقعت بينهما العداوة والبغضاء، بلغه يوما أن ثعلبا نال منه، فقال في ذلك مغيظا:

1أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ص 96-109

2الخصائص باب (في الاحتجاج بقول المخالف)، ابو الفتح عثمان بني جني ، ج1، ص196.

3راجع الكامل في اللغة ، ابي عباس محمد بن يزد المبرد ج8، ص49.

رب من يعنيه حالي ..... وهو لا يجري ببالي

قلبه ملآن مني ..... وفؤادي منه خالي

وجرت بينهما مناظرات تكلمنا على واحدة منها سابقا، ظفر فيها ثعلب، ودام النفور بين الإمامين حتى لقي المبرد ربه فرثاه ثعلب، ولقد خلف مصنفات في علوم متنوعة برهنت على أدبه الجم وعلمه الغزير، منها في النحو: المقتضب. وشرح شواهد سيبويه، والرد عليه، وله في تاريخ النحاة: طبقات النحويين البصريين وأخبارهم، وقد نوهنا في كلمة سابقة عن كتابه الكامل، والتعريف الكافي عنه يتطلب بسطا لا يسعه المقام، توفي ببغداد سنة 285هـ.

الخلاف بين البصريين أنفسهم

اختلف نحاة البصرة فيما بينهم في العديد من المسائل النحوية، وفي هذا المبحث نعرض مسألتين من تلك المسائل.

المسألة الأولى:الجر على الجوار[1]

اختلف سيبويه مع شيخه الخليل في هذه المسألة ، وسنبين ذلك فيما يلي:

مذهب الخليل وحججه:

يقول الخليل في هذه المسألة:إن الاسم المجرور على الجوار يجب أن يوافق الاسم الذي يجاوره في عدته وفي تذكيره وتأنيثه، فإن اختلفت العدة وكان أحدهما مذكرًا والآخر مؤنثًا استعمِل الكلام على أصله ولا يجوز الجر على الجوار. واحتج الخليل بأن قال :يقولون : هذا فجار ثعلبٍ واسع ؛ لأن الثعلب مذكور ، وواسع مذكر أيضًا والعدة واحدة ، ولا يقولون : هذا وجار ضبع واسعٍ ؛ لأن واسع مذكر والضبع مؤنث ، وكذلك لا يجوز أن يقولوا : هذا مكان ثعالب واسع ؛ لاختلاف العدة ، فالثعالب جمع وواسع مفرد[2]

مذهب سيبويه وحججه:

أما مذهب سيبويه في هذه المسألة فإنه يجيز الجر على الجوار ولو اختلف المتجاوران.

[1] مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه، د فخر الدين صالح سليمان قدارة، ط1، 1410 هـ 1990م ، دار الأصل للنشر والتوزيع – الأردن ص56 انظر شرح شذور الذهب ص310

[2] شرح أبيات سيبويه ، ابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي495/1

واحتج سيبويه بقول العجاج[1]

كأنَّ نَسْجَ العنكبوتِ المرملِ

فقد جر" المرمل "وهو مذكر لمجاورته" العنكبوت "وهي مؤنثة[2]

مناقشة حجج الخليل:

وقول الخليل في أن الاسم المجرور على الجوار يجب أن يوافق الاسم الذي يجاوره في عدته وتذكيره وتأنيثه ، ومنه قول امرئ القيس[3]

كأنَّ بثيراً في عرانينَ وبله كبير أناسٍ في بجادٍ مزمَّلِ

فخفض" مزمل "مع أنه وصف ل"كبير "المرفوع ، لمجاورته لقوله" بجاد" المخفض. ويلاحظ أن" مزمل " مفرد مذكر ، وبجاد مفرد مذكر – أيضًا – إذن وافق المجرور على الجوار" مزمل "الاسم الذي يجاوره "بجاد "في عدته وتذكيره وتأنيثه.

مناقشة حجج سيبويه:

ما احتج به سيبويه من قول العجاج:

كأن نسج العنكبوت المرملِ يمكن الرد عليه بأنه يصح تذكير العنكبوت ، فقد قال الفراء : "والعنكبوت أنثي، وقد يذكرها بعض العرب[4]"وقال ابن منظور" :العنكبوت دويبة تنسج في الهواء وعلى رأس البئر نسجًا رقيقًا مهلهلا ، مؤنثة ، وربما ذكرت في الشعر[5]"

اسم نبات ، الذري :الأعالي ، المهدل :المدلي ، السبوب :جمع سب وهو ثوب أبيض، هذا الرجز وما يليه فيوصف ماء ورده الشاعر فشبه ما نسجته العنكبوت على هذا الماء بثوب رقيق من الكتان مخطط.

---

[1]هذا البيت من أرجوزة قالها يمدح يزيد بن معاوية وبعده:على ذري قلاَّمة المهدل **سبو ب كتاب بأيدي الغسلِ وهو من مجموع أشعار العرب247/2، والكتاب437/1، وشرح أبيات سيبويه ، ابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي495/1 المرمل :المنسوج، القلام

[2]الكتاب437/1

[3]البيت في ديوانه ص 25 ، والرواية فيه : كأن أبانًا في أنانين ودقة ، وانظر شرح الشواهد المغنى، ابو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوي ص 669والخزانة الادب ، عبد القادر بن عمر البغدادي 327/2 ، بثير:اسم جبل ، العرانين :مفردها عرنين ، وهو مقدم الأنف .

[4]معاني القرآن، ابو زكرياء يحي بن زياد الفراء 317/2 ، وأنشد على ذلك قول الشاعر:على هطالهم منهم بيوت**كأن العنكبوت هو إبتناها

[5]ينظر :اللسان مادة عنكب (وأنشد على ذلك قول أبي النجم :مما يسدي العنكبوت إذا خلا

وهنالك من احتج لمذهب سيبويه بقول الشاعر[1]

يا صاحِ بلِّغ ذوي الزوجات كلِّهم أن ليس وصل إذا انحلَّت عرا الذنب

فقال" :كلهم "وهو جمع لمذكر مجرور لمجاورته" الزوجات "، وهو جمع مؤنث سالم ، وهذا القول يمكن مناقشته في الآتي:

1/ كلهم "توكيد لذوي لا للزوجات ، وإلا لقال" كلهن "وذي منصوب على المفعولية ، وكان حق "كلهم "النصب ولكنه خفض لمجاورته المخفوض الزوجات."

ويتضح من هذا : أن" ذوي "مذكر ، و"كلهم "مذكر – أيضًا – وهذا يرجح ما ذهب إليه الخليل.

2/ إن" كلهم "توكيد ل"ذوي "وجر ت على الجوار ، وهذا يؤكد القول :بأن ما جر لمجاورة المجرور يكون في بابي النعت والتوكيد،وقيل باب عطف النسق.

3/ إن هذا القول وقع في التوكيد ، وما ذكره سيبويه هو ما جري نعتًا ، فأما النعت ففي قولهم" :هذا جحر ضب خرب "روي بخفض" خرب "لمجاورته ل"الضب "، وإنما كان حقه الرفع لأنه صفة للمرفوع ، وهو" الجحر "، وعلى الرفع أكثر العرب وإليك قول سيبويه" :مما جري نعتًا على غير وجه الكلام: هذا جحر ضبٍ خربٍ فالوجه الرفع،وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم وهو القياس[2]"

والآن نطرح سؤالا : أيحسن الجر على الجوار في المعطوف أم لا ؟؟

سنجيب عن هذا السؤال من خلال مناقشة هذه الآية ، قال تعالى" :إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ [3]"

في الآية قراءتان" :وأرجَلكم "و"وأرجلِكم .[4]"قرأ نافع والكسائي ويعقوب" :وأرجلكم" بالنصب ورواها حفص – عطفًا على" وجوهكم "، فجملة" وامسحوا برؤوسكم "معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه[5]

[1] في شرح الشواهد المغني، ابو بكر جلال الدين السيوطي ص 895 ، وشرح شذور الذهب، ابن العماد ص 331 بدون نسبة

[2] الكتاب سيبويه ، ابي سعيد الحسن السيرافي 436/1

[3] سورة المائدة الآية6

[4] النشر في القراءات، العشر محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري ابو محمد ، المطبعة التجارية الكبرى،ط2 ص 254

[5] حجة القراءات : أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة في القرن الرابع الهجري ,بتحقيق: سعيد الافغاني ط 4 مؤسسة الرسالة , بيروت 1404 , هـ 1984 م. ص 221 .

وقرأ الباقون" :وأرجلِكم "بالجر على المجاورة ، لمجاورته للمخفوض وهو الرؤوس. "
وردت هذه الآية عند الحديث عن المجرور على الجوار في المعطوف ، وجاء :وأما المعطوف كقوله تعالى" :إذا قمتم "...في قراءة من جر الأرجل لمجاورته للمخفوض وهو" الرؤوس "وإنما كان حقه النصب ، كما هو في قراءة جماعة آخرين ، وهو منصوب بالعطف على الوجوه والأيدي ، وهذا قول جماعة من المفسرين والفقهاء[1] وخالفهم في ذلك المحققون ، ورأوا أن الخفض على الجوار لا يحسن في المعطوف ؛ لأن حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة.

وفي القياس لا يمتنع الخفض على الجوار في عطف البيان ؛ لأنه كالنعت والتوكيد في مجاورة المتبوع ، وينبغي امتناعه في البدل ؛ لأنه في التقدير من جملة أخرى ، فهو محجوز تقديرًا ، ورأي هؤلاء أن الخفض في الآية إنما هو بالعطف على لفظ" الرؤوس "، ولكن الأرجل مغسولة لا ممسوحة ، فكان جوابهم على ذلك بوجهين ، هما:

الأول : إن المسح – هنا – الغسلُ ، قال أبو على : حكي لنا من لايتَّهم أن أبا زيد قال :المسح خفيف الغسل ، يقال : مسحت للصلاة ، وخصتِ الرجلان من بيت سائر المغسولات باسم المسح ليقتصد في صب الماء عليهما ؛ إذ كانتا مظَّنة للإسراف.

الثاني : إن المراد – هنا – المسح على الخفين ، وجعل ذلك مسحًا للرجل مجازًا ، وإنما حقيقته أنه مسح للخف الذي على الرجل ، والسنة بينت ذلك.

ويرجِح ذلك القول ثلاثة أمور[2]

1. إن الحمل على المجاورة حمل على شاذ ؛ فينبغي صون القرآن عنه.
2. إنه إذا حمل على ذلك كان العطف في الحقيقة على الوجوه والأيدي ؛ فيلزم الفصل بين المتعاطفين بجملة أجنبية وهو" وامسحوا برؤوسكم "، وإذا حمل على العطف على الرؤوس لم يلزم الفصل بالأجنبي ، والأصل أن لا يفصل بين المتعاطفين بمفردٍ فض لا عن الجملة.

[1] ينظر : شرح شذور الذهب، ابن العماد ص3

[2] المصدر نفسه ص/3-313.

3. إن العطف على هذا التقدير حمل على المجاور ، وعلى التقدير الأول حمل على غير المجاور ، والحمل على المجاور أولى ، وإذا دللنا على التوجيه الأول بقراءة النصب ، لا نسلم أنها عطف على الوجوه والأيدي ، بل عطف على الجار والمجرور كما قال العجاج[1]

يَسْلُكْنَ في نجْدٍ وَغَوْراً غَائِرَا

والشاهد فيه قوله" :وغورًا "، حيث عطف بالنصب على الجار والمجرور، والمعروف أن المعطوف يجب أن يشارك المعطوف عليه في إعرابه ؛ ويستدل بنصب المعطوف على أن المعطوف عليه منصوب ألبته ، ولما لم يكن منصوبًا في اللفظ تعين أن يكون منصوبًا في المحل ، والسر في ذلك أن الجار والمجرور عند التحقيق هو مفعول به.

ومثل هذا الشاهد في ذلك قول جرير بن عطية يفخر على الفرزدق[2]

جِئْنِي بِمِثل بني بدرٍ لِقَومِهِم أو مِثْلَ أُسرةِ مْنظور بني سيار

الرواية بنصب" مثل "المعطوف ب"أو "على محل قوله" بمثل. "

المسألة الثانية – حاش في الاستثناء أهي فعل أم حرف أم ذات وجهين[3] أجمع الكوفيون على أن "حاش "في الاستثناء فعلٌ ماضي بينما اختلف البصريون فيما بينهم ، وسيتضح ذلك من خلال الآتي

مذهب سيبويه وحججه:

ذهب سيبويه ومعظم البصريين إلى أن" حاش "حرف جر وليست فعل ، وكانت حجتهم أنه لا يجوز دخول" ما "عليه ، فلا يقال" :ما حاش زيدًا "، كما يقال" :ما خلا زيد "و"ماعدا عمرًا "، ولو كان فعلا لجاز أن يقال" :ما حاش زيدًا "، فلما لم يقولوا ذلك دلَّ على أنها حرف ، وهي حرف دائمًا بمنزلة إلا ، لكنها تجر المستثني[4] ومما يقوي حجتهم أن الاسم يأتي بعد" حاش "مجرورًا ومنه قول الشاعر[5]

---

[1]هذا الشاهد من كلام العجاج بن رؤبة الراجز ، وهو من شواهد سيبويه1/49 ورواه : يذهبن في نجد ... وبعد هذا قوله : فواسقًا عن قصدها جوائرا

[2]انظر : حاشية شرح شذور الذهب، ابن العماد ص313

[3]ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين والبصريين والكوفيين : د .محيي الدين توفيق إبراهيم ط 1 مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر , العراق / الموصل 1399 , هـ 1979 / م 37 278/1.

[4]ينظر : الكتاب377/1 و شرح شواهد المغني ، ابو بكر جلال الدين السيوطي 141/1

[5]البيت أنشده ابن منظور نقلا عن الجوهري، ونسبه إلى سبرة بن عمرو الأسدى والبيت من شواهد المغني، ابو بكر جلال الدين السيوطي رقم185

حَاشَ أبي ثَوْبانَ ؛ إنَّ بِهِ ضَنًّا عَلَى المَلْحَاة والشَّتم

والشاهد فيه قوله" : حاش أبي ثوبان "، فقد جرت" حاش "ما بعدها" أبي. "

مذهب المبرد وحججه:

أما أبو العباس المبرد فقد ذهب إلى أن" حاش "تكون حرفًا وتكون فعلا[1]واستدل على أنها تكون فعلا بقول النابغة[2]

وَلاَ أرَي فاعِلاً في النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَلاَ أحَاشِى مِن الأقْوَامِ مِنْ أحدِ

"فمن أحد "في موضع نصب ب"أحاشي. "وسوف نناقش ما قاله المبرد من خلال الآتي:

جاء في المغني أن" حاشا "على ثلاثة أوجه ، هي[3]

- **الأول** :أن تكون فعلا متعديًا متصرفًا ؛ فتقول" حاشيته "بمعني استثنيته، ومنه الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال" :أسامة أحب الناس إلى، ما حاش فاطمة ،" ما" نافية والمعني : أنه عليه الصلاة والسلام لم يستثن فاطمة ، وتوهم ابن مالك أنها *ما "المصدرية ، و"حاشا "الاستثنائية بناء على أنه من كلامه عليه الصلاة والسلام ، فاستدل به على أنه قد يقال" :قام القوم ما حاشا زيدًا "كما قال الشاعر[4] :

رَأيْتُ النَّاسَ مَا حَاشَا قُرَيْشاً فَإنَّا نَحْنُ أفْضَلُهُمْ فَعَالاً

ويرده أن في معجم الطبراني" ما حاشا فاطمة ولا غيرها "ودليل تصرفه قول الشاعر[5]

ولا أري فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي الأقوام من أحد

وتوهم المبرد أن هذا مضارع" حاشا "التي يستثني بها، وإنما تلك حرف أو فعل جامد لتضمنه معنى الحرف.

- **الثاني** : أن تكون تنزيهية ، نحو قوله تعالى" :حَاشَ لِلَّهِ[6]"وهي عند المبرد وابن جني والكوفيين فعلٌ ؛ لتصرفهم فيها بالحذف ، ولإدخالهم إياها على الحرف، ونحسب أن هذين الدليلين ينفيان الحرفية ، ولا يثبتان الفعلية ، وقالوا :والمعني في الآية جانب يوسف

[1]المقتضب، المبرد،تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ط4 ص 391

[2]ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس . بيروت ، دار المعرفة . ط 2، 1995 ص1

[3]ينظر : المغني، ابو بكر جلال الدين السيوطي 140/1.

[4]ورد البيت في المغني ، ابو بكر جلال الدين السيوطي 1 /141

[5]سبق تخريج البيت ينظر صفحة 62 من هذا البحث

[6]سورة يوسف الآية31

المعصية لأجل الله ، ولا يتأتى هذا التأويل في مثل قوله تعالى: حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً[1]" وبما كان الصحيح أنها اسم مرادف للبراءة من كذا" ؛ بدليل قراءة بعضهم" حاشًا لله " بالتنوين ، كما يقال" :براءُة لله من كذا "، وعلى هذا فقراءة ابن مسعود رضى الله عنه "حاش لله "كمعاذ الله ، ليس جارًا ومجرورًا كما وهم ابن عطية ؛ لأنها إنما تجر في الاستثناء ، ولتنوينها في القراءة الأخرى ولدخولها على اللام في قراءة السبعة ، والجار لا يدخل على الجار وإنماترك التنوين في قراءتهم لبناء(حاشا) لشبهها بحاشا الحرفية ، وزعم بعضهم أنها اسم فعل ماضٍ بمعني (أتبرأ) أو (برِئت) ، وحامله على ذلك بناؤها ، ويرده إعرابها في بعض اللغات.

- **الثالث** :أن تكون للاستثناء ؛ فذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى أنها حرف دائمًا بمنزلة إلا ، لكنها تجر المستثني ، وذهب الجرمي والمازني والمبرد والزجاج والأخفش وأبو زيد والفراء وأبو عمر والشيباني إلى أنها تستعمل كثيرًا حرفًا جارًا وقليلا فعلا متعديًا جامدًا لتضمنه معنى "إلا "، وسمع" اللهم أغفر لي ولمن يسمع حاشا الشيطان وأبا الأصبغ[2]"

وقال الشاعر[3]

حاشا أبا ثوبان ؛ إن به ضناً على الملحاة والشتم

ويروى أيضًا" حاشا أبي "بالياء ، ويحتمل أن يكون رواية الألف على لغة منقال[4]

إنَّ أبَاهَا وَأبا أبَاهَا قد بَلَغَا في المَجْدِ غَايَتَاهَا

وفاعل" حاشا "ضمير مستتر عائد على مصدر الفعل المتقدم عليها ، أو اسم فاعله ، أو البعض المفهوم من الاسم العام ، فإذا قيل":قام القوم حاشا زيدًا "، فالمعني جانب هو – أي قيامهم ، أو القائم منهم ، أو بعضهم – زيدًا – ، مما تقدم نخلص إلى الآتي:

1/ البصريون على فريقين في" حاشا: "

أ –فريق ذهب إلى أن" حاشا "حرف وعلى رأسه سيبويه.

---

[1]سورة يوسف الآية31

[2]ينظر : المغني ، ابو بكر جلال الدين السيوطي 141/1

[3]البيت سبق تحريه ص 62 في هذا البحث.

[4]المغني ، ابو بكر جلال الدين السيوطي 1 /141

ب –الفريق الآخر ذهب إلى أنها تأتي كثيرًا حرفًا وقليلا فعلا وعلى رأسه المبرد.

/2احتج المبرد على أن" حاشا "فعل بقول النابغة:

ولا أرَى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشى من الأقزام من أحدٍ

لكنه توهم أن" أحاشى – "هنا – مضارع" حاشا "التي يستثني بها ، ونعتقد أن حاشا "التي للاستثناء فعل جامد لا يتصرف لتضمنه معني الحرفية أو هي حرف كما ذهب سيبويه ،" ولا أحاشي – "هنا –بمعني" لا استثني "وهذا مذهب من قال :أن حاشا "فعل متعدي متصرف ، فتقول" :حاشيته " بمعني" استثنيته "،" وحاشا – "هنا– غير" حاشا "الاستثنائية التي تسبقها" ما المصدرية. " ونحسب أن النصب ب"حاشا "الاستثنائية جائز على أنها فعل جامد متعدي والخفض بها جائز – أيضًا – على أنها حرف.

الطبقات النحوية الكوفية

1. الطبقة الأولى:

1.1 الرؤاسي:

هو أبو جعفر محمد بن الحسن، مولى محمد بن كعب القرظي[1]، لقب بالرؤاسي لكبر رأسه، نشأ بالكوفة وورد البصرة فأخذ عن (أبي عمرو بن العلاء) وغيره من علماء الطبقة الثانية البصرية، ثم قفل إلى الكوفة، واشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ وغيره، فتكونت الطبقة الأولى الكوفية، ثم صنف كتابه "الفيصل" في النحو، وقد مر في الكلام على الطور الثاني أن الخليل بعث إلى الرؤاسي يطلبه فأرسله إليه، وأن سيبويه نقل في كتابه عنه كما نقل عن البصريين، فإلى الرؤاسي يرجع بدء النحو في الكوفة دراسة وتأليفا.فهو رأس الطبقة الأولى الكوفية، وكتابه أول مؤلف في النحو بالكوفة، توفي بالكوفة في عهد الرشيد.

[1]راجع ترجمته في معجم الأدباء، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ج (18) ص (121-125).

2.1 معاذ الهراء:

هو أبو مسلم، لقب بالهراء لبيعه الثياب الهروية، وهو عم الرؤاسي ومولى القرظي أيضا، أقام بالكوفة واشتغل مع ابن أخيه في النحو، غير أن ولوعه بالأبنية غلب عليه، حتى عده المؤرخون واضع الصرف، ولم يوقف له على مصنف، عمر طويلا، وتوفي بالكوفة سنة 187هـ.

2. الطبقة الثانية:

1.2 الكسائي:

هو أبو الحسن علي بن حمزة: مولى بني أسد، فارسي الأصل، سئل عن تلقيبه بالكسائي فقال: "لأني أحرمت في كساء"، وقيل في السبب غير هذا، نشأ بالكوفة وتعلم النحو على كبر، ذلك لأنه حادث قوما من الهباريين لحنوه فأنف من التخطئة، وقام من فوره وطفق يتعلم النحو، فأخذ عن معاذ الهراء ما عنده ثم توجه تلقاء البصرة فتلقى عن عيسى بن عمر والخليل وغيرهما، ولما أعجب بالخليل قال له: من اين اخذت علمك هذا؟ قال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فجاب هذه البوادي وقضى وطره ثم انحدر إلى البصرة فالقى الخليل قضى نحبه، وخلفه يونس فجلس في حلقته ومرّت بينهما مسائل اعترف يونس له بها، من ذلك ما قال المبرد: (ويروى أن يونس بن حبيب قال لأبي الحسن الكسائي كيف تنشد بيت الفرزدق فأنشده:

غداة احلت لبن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف والخمر[1]

فقال الكسائي: لما قال غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات لسدائف تم الكلام، فحمل الخمر على المعنى أراد وأحلت له الخمر، فقال له: ما احسن ما قلت[2] .ثم عاد إلى الكوفة ينشر علمه، والكوفة متعطشة إلى نحو مضارع النحو البصرة، وفي الكسائي نشاط في الدراسة والتصنيف، فتقوى المذهب الكوفي وبدأ يناهض البصري على يد الكسائي الذي دوى ذكره حتى وصل إلى مسمع أمير المؤمنين المهدي في بغداد، فاستقدمه لحادثة خاصة ورأى فيه عالما خريتاً لقناً، فاستبقاه في بغداد، وضمه إلى حاشية ابنه الرشيد، فاحتضنه الرشيد بعد الخلافة ليؤدب ولديه الأمين والمأمون، ثم

1راجع الكامل مع الرغبة، المبرد ج4، ص59 وما بعدها، وعبيطات جمع عبيط: اللحم الطري، والسدائف جمع سديف: شحم السنام، والبيت من شواهد التوضيح على باب الفاعل، ومن قصيدة في مدح أخواله بني ضبة.

2هو ابو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان من ولد بهمن بن فيروز مولى بني اسد النحوي، راجع معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ج13، ص(167- 203).

صعد به جده وصار من الجلساء المؤانسين، ومن هنا ساد المذهب الكوفي، وتكاثرت أتباعه، وعز علماؤه، فعز على البصرة شأنهم، وجاؤوا بغداد يناهضونهم، فكانت المناظرات الماضية، وكان الكسائي ذا تدره الكوفيين في أغلبها، له مصنفات كثيرة، منها في النحو مختصر، وعلى يد الكسائي تكاثرت الفوارق بين المذهبين لاختلاف الاتجاهين، وسنعقد مبحثا خاصا نفصل ذلك فيه بمشيئة الله تعالى، وأخباره ذائعة مشهورة، وبقي الكسائي أثيرا عند الرشيد، صاحبه مع محمد بن الحسن الشيباني في رحلته إلى فارس حتى كانوا في رنبويه (بلد قرب الري) وأحس الكسائي بقرب المنية فتمثل بقول مؤرج السدوسي:

قدر أحلك ذا النجيل وقد أرى وأبي مالك ذو النجيل بدار

إلا كداركم بذي بقر الحمى هيهات ذو بقر من المزدار[1]

ثم مات هو ومحمد فقال الرشيد: اليوم دفنت الفقه والنحو برنبويه، وذلك سنة 189هـ.

3. الطبقة الثالثة:

1.3 الأحمر:

هو أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بالأحمر[2]، كان جنديا من رجال النوبة على باب الرشيد، ثم سمت نفسه إلى العلم، فكان يترصد في الطريق الكسائي عند حضوره للرشيد ويسير في ركابه وبحاشيته جيئة وذهابا، يستفيد منه المسألة بعد الأخرى حتى عد في أصحاب الكسائي، وناظر سيبويه عند مقدمه بغداد، كما سلف، فلما أصيب الكسائي بالوضح[3]، وكره الرشيد ملازمته أولاده، فأشار عليه باختيار نائب عنه، فاستخلف الأحمر إبقاء على مجده واطمئنانا منه على خضوع الأحمر له، وعاهد الأحمر على أن يلقنه يوما فيوما ما يؤدب به أولاد الخليفة، وكان الأحمر يقظا فطنا فأجاد التعلم والتعليم حتى بز أصحاب الكسائي، وتبوأ مكانته، ونعم برفهنية العيش، وقد أملى شواهد نحوية واجتمع عليه الناس، وصنف كتاب التصريف، ومات بطريق الحج سنة 194هـ.

---

1 الشطر الثاني من البيت الأول من شواهد النحاة على رد لام أب عند الاضافة لياء المتكلم، راجع مجلس ثعلب، ابو العباس احمد بن يحي ثعلب (الجزء العاشر) وأمالي ابن الشجري (المجلس التاسع والأربعين) والرضى.

2 وقال محمد بن داود: الأحمر اسمه علي بن المبارك راجع ترجمته مفصلة عند ياقوت الحموي في معجم الأدباء ج13، ص(5-11).

3 هو داء البهاق وهو مرض جلدي معروف، لم يعرف له دواء حتى الأن وهو مرض غير معدٍ إلا انه منفر لأنه ينزع لون الجلد من بعض المواضع.

2.3 الفراء[1] :

هو أبو زكريا يحيى بن زياد، مولى بني أسد، لقب بالفراء "لأنه كان يفري الكلام ."ولد بالكوفة من أصل فارسي، وتلقى عن "الكسائي" وغيره، وتبحر في علوم متنوعة، فكان فذا في معرفة أيام العرب وأخبارها وأشعارها، والطلب والفلسفة والنجوم، وتقصى أطراف علم النحو حتى قيل فيه: "الفراء أمير المؤمنين في النحو، وهو الذي قال: أموت وفي نفسي شيء من حتى لأنها ترفع وتنصب وتخفض"، طمع في نوال الخلفاء فانحدر إلى بغداد ولج في الاتصال بالمأمون حتى وصله ثمامة بن أشرس، فحاطه الخليفة برعايته، ورغب إليه أن يؤدب ابنيه، كما اقترح عليه أن يؤلف كتابا يجمع أصول النحو، وهيأ له دارا خاصة فيها وسائل النعيم متكاملة فأخرج له كتاب "الحدود" بعد سنتين، وما زال الفراء وجيها عند المأمون، مغبوط المنزلة بين الأمة، يؤلف ويفيض علمه حتى توفي سنة 207هـ.

3.3 اللحياني[2] :

هو أبو الحسن علي بن المبارك من بني لحيان، أخذ عن الكسائي وغيره، وله كتاب النوادر، توفي سنة 220هـ.

4. الطبقة الرابعة:

1.4 ابن سعدان:

هو: أبو جعفر الضرير محمد بن سعدان[3]، نشأ بالكوفة، وأخذ عن "أبي معاوية الضرير" وغيره، ثم اشتهر بالعربية والقراءات، صنف كتابا في النحو، وتوفي سنة 231هـ.

2.4 الطوال:

هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد، نشأ بالكوفة، وسمع من الكسائي وغيره وقدم بغداد، مات سنة 243هـ.

[1] راجع ترجمته المفصلة في معجم الأدباء، ، شهاب الدين ياقوت الحموي ج (20) ص (9-14).

[2] راجع معجم الأدباء ، شهاب الدين ياقوت الحموي ج14 ص(106-108).

[3] ترجمته في معجم الأدباء، شهاب الدين ياقوت الحموي ج (18) ص (201-202).

3.4 ابن قادم:

هو: أبو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم[1]، أخذ عن الفراء، وحذق النحو وتعليله، واتصل بالعباسيين فأدب المعتز قبل الخلافة، وله مؤلفات منها في النحو: الكافي، والمختصر، توفي ببغداد سنة 251هـ.

5. الطبقة الخامسة:

1.5 ثعلب:

هو: أبو العباس أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب: مولى بنى شيبان[2]، ولد ببغداد في عصرها الذهبي، وتلقى عن ابن الأعرابي وابن قادم، وسلمة بن عاصم وغيرهم غير أنه كان للنحو من بين علوم اللغة العربية النصيب الأوفى من عنايته، واعتماده فيه كان على سلمة بن عاصم، وهبه الله حافظة واعية مكنته أن يستظهر ما يقرأه، فحفظ كتب الكسائي والفراء، واستطاع أن يقرأ بنفسه كتاب سيبويه فتزعم رياسة النحو للكوفيين إلا أنه كان لا يحبذ القياس، اتصل بالخلفاء والأمراء كأسلافه الكوفيين، فأدب ابن المعتز وابن طاهر، وجمعت بغداد بينه وبين أبي العباس المبرد زعيم البصريين الذي نافسه شرف الرياسة العلمية والزلفى عند الخلفاء والأمراء، فكانت بينهما مناظرات ذكرنا سابقا واحدة منها فاز فيها ثعلب، ولكل منهما شيعته وحزبه، وسعى بينهما القتاتون، وكان المبرد يتطلب لقيا ثعلب كثيرا فيراوغه ويتلكأ عن إجابته، ولثعلب مجالسة مع الرياشي سلفت أيضا، وله نادرة طريفة تتعرف منها نفاسة علم النحو، وأنه أحرى العلوم كلها بالرعاية، رأيت إرجاءها الآن لتكون مسك الختام لهذا الكتاب.له رحمة الله عليه مصنفات شتى منها في النحو: اختلاف النحويين، والموفقي وما ينصرف وما لا ينصرف، وحد النحو، وفي اللغة: الفصيح وسترى في ترجمة الزجاج تخطئته فيه، وفي الأدب وغيره: مجالس ثعلب وكانت وفاته ببغداد من صدمة دابة له في الطريق، لم يسمع وقع حوافرها وراءه لصممه، سنة 291هـ[3]

[1]ترجمة وافية- معجم الأدباء ، شهاب الدين ياقوت الحموي ج (18) ص (207- 209).

[2]ذكر كثيرا من اخباره في معجم الادباء ، شهاب الدين ياقوت الحموي ج (5) ص (102- 146).

[3]وله في تاريخ بغداد للخطيب أخبارا وافية فليراجع في موضعه في الطبعة الجديدة منه من تحقيقنا.

الخلاف بين الكوفيين أنفسهم

هنالك العديد من المسائل النحوية اختلف فيها نحاة الكوفة فيما بينهم ، ويمكننا أن نبين خلافهم بوضوح من خلال نماذج نعرضها في الفقرات التالية ، ومن ذلك اختلاف الكسائي والفراء في البيت القائل[1]

لَهُ مُتْنَتَانِ خظَتَا كما أكبَّ على ساعِديهِ النَّمِرُ

رأي الكسائي:

يقول الكسائي" :خظتا "كما يقال" :غزتا "، وقد رد الألف التي كانت ساقطة في الواحد لتاء التأنيث الساكنة لما تحركت التاء لأجل ألف التثنية ومسوغ ذلك ضرورة النظم.

رأي الفراء:

أما الفراء يرى أنه" خظاتا "، فحذف نون المثني لضرورة النظم.

تعقيب:

من واقع الخلاف نقول :إن الكسائي يرى أن الكلمة فعل ، وأن الألف الثانية فيها اسم.

أما الفراء فيخالفه في الأمرين ، ويرى أن الكلمة اسم والألف الثانية حرف علامة المثني ، أما الألف الأولى عندها فهي لام الكلمة سواء أكانت فعلا كما يرى الكسائي أم اسمًا كما يرى الفراء.

ويمكننا القول :إن تخريج الفراء مقبول ، وإن لزمته ضرورة حذف النون، ويقابله في التخريج الكسائي وقد لزمه ضرورة عودة لام الفعل ، وقد تساوي الرأيان والتكافؤ بينهما قائم.

وقد عرض لهذا الشاهد ابن يعيش في" شرح المفصل "قسم الحروف مبحث تاء التأنيث الساكنة ، وابن هشام في المغني الباب الأول مبحث" كل "، وقد استشهد بالبيت الرضي في شرح الكافية، مبحث التقاء الساكنين على نمط رأي الكسائي. هذا البيت الذي حدث فيه خلاف بين السابقين —وهو خلاف مشهور متعالم تناقلته كثير من الكتب مؤخرًا — نجد فيه مناظرة مشهورة بين ثعلب والمبرد ، فقد قال أبوبكر الزبيدي في طبقات النحويين[2] :قال أبو عمرو الزاهر قال لي ثعلب: دخلت يومًا على محمد بن عبد الله بن طاهر وعنده أبو العباس محمد بن يزيد وجماعة كتابه ، فلما قعدت قال لي محمد بن عبد الله :ما تقول في بيت امرئ القيس:

1ديوان امرىء القيس . اعتنى به وشرحه : عبدالرحمن المصطاوي . بيروت ، دار المعرفة . ط 2 ’ 2004 ص 112.

[2]طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ص145

له متنتان خظتا *كما اكبَّ على ساعديه النمرُ[1]

قال :فقلت :الغريب أنه يقال" :خظتا "إذا كان صلبًا مكتنزًا، ووصف فرسًا. وقوله" :كما أكب على ساعديه النمر ، أي في صلابة ساعدي النمر إذا اعتمد على يديه ، والمتن : الطريقة الممتدة عن يمين الصلب وعن شماله وما فيه من الغريب :أنه" خظتا "فلما أن تحركت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة.

قال :فأقبل بوجهه علي محمد بن يزيد ، فقال له :أعز الله الأمير ، إنما أراد في" خظتا " الإضافة ، أضاف" خظتا "إلى" كما "فقلت له : ما قال هذا أحد !! ، فقال محمد بن يزيد :بلي سيبويه يقول ، فقلت لمحمد بن يزيد : لا والله ، ما قال هذا سيبويه قط ، وهذا كتابه فليحضر ، ثم قلت : وما حاجتنا إلى كتاب سيبويه ؟؟ أيقال: مررت بالزيدين ظريفي عمرو فيضاف نعت الشيء إلى غيره؟؟

فقال محمد بن عبد الله – بصحة طبعة – لا والله ، ما يقال هذا ونظر إلى محمد بن يزيد فأمسك ولم يقل شيئًا وقمت ونهض المجلس. فخظتا إن كانت فعلا ، فالفعل من باب "سما "ويقال حظا لحمه إذا اكتنز وإن كانت اسما مثني فالمفرد" خظاة"، وقوله اكب على ساعديه النمر يريد لها متنتان كساعدي النمر البارك في صلابتهما ، والبيت في وصف الفرس من قصيدة طويلة مطلعها : أحار ابن عمرو كأني ضمر *** ويعدو على المرء ما يأتمر.

قال الزبيدي : القول ما قاله المبرد ، وإنما سكت بما رأي من بله القوم وقلة معرفتهم ، وقوله :مررت بالزيدين ظرفي عمرو جائز جدًا.

وكان الخلاف قد حدث بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر الحسين، الذي كان ينفق معظم وقته في المسائل العلمية ، وكان يهوي المناظرات ، وكثيرًا ما جمع بين علماء الفريقين" البصريين والكوفيين. "

وكان ثعلب قد أجاب في هذه المناظرة بما قاله الكسائي والمبرد أجاب بما قاله الفراء، غير أنه جعل حذف النون للإضافة بينما جعله الفراء لضرورة الشعر، مما سبق يبدو أن أصل الخلاف كوفي بين الكسائي والفراء ، ثم انتقل بعد ذلك إلى البصرة بين ثعلب والمبرد.

[1] طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ص145

ويمكننا أن نأخذ مجلس أبي العباس أحمد بن يحيي" ثعلب "مع أبي الحسن محمد بن كيسان[1] نموذجًا آخر لاختلاف نحاة الكوفة فيما بينهم. فقد جاء في المجلس – وهو المجلس الثاني:

أخبرنا أبو الحسن بن كيسان قال :قال لي أبو العباس :كيف تقول :مررت برجلٍ قائمٍ أبوه ؟ فأجبته بخفض" قائم "ورفع" الأب. "

فقال لي : بأي شيء ترفعه ؟؟ فقلت : ب"قائم. "

فقال :أوليس هو عندك اسمًا ، وتعيبوننا تسميته فعلا دائمًا فقلت : لأنه قد يعمل عمل الفعل ما ليس بفعل إذا ضارعه قال فكيف تقول :مررت برجل أبوه قائم ؟؟ فأجبته برفعهما جميعًا فقال لي : فهل تجيز أن تقول : مررت برجل) أبوه (قائم فترفع به مؤخرًا كما رفعت به مقدمًا ؟؟

قلت : ذلك غير جائز عند أحد ، قال ولِم ؟؟ قلت : لأنه اسم جري مجري الفعل ، وإذا تقدم عمِلَ عملَ الفعل ولم يكن فيه ضمير ، فإذا تأخر كان بمنزلة المؤخر، فلزمه أن يقع فيه ضمير في الاسم المتقدم ، يرتفع كما يكون ذلك في الفعل إذا تأخر، فلما كان الفعل لو ظهر) هاهنا (لم يرفع ما قبله كان الاسم الجاري مجراه أضعف في العمل ، وأحرى أن لا يعمل فيما قبله.

فقال لي : أجعل الاسم مرفوعًا بالابتداء ، وما بعده خبره على مذهبكم ، لأن خبر المبتدأ عندكم يكون مخفوضًا ، ومنصوبًا كما تقولون :زيد في الدار ، وزيد أمامك ؟؟

قلت ذلك غير جائز ؛ لأن خبر المبتدأ إذا كان هو المبتدأ بعينه لم يكن إلا مرفوعًا كقولنا :زيد منطلق وعبد الله قائم ، وما أشبه ذلك.

وكذلك إذا قلنا : مررت برجلٍ أبوه قائم ، فالقائم هو الأب في المعني ، فلا يجوز أن يختلف إعرابها.

قال : فقد جاء في الشعر الفصيح الذي هو حجة مثل هذا الذي تنكره.

قال امرؤ القيس[2]

فظلَّ لنا يوم لذيِّذ بنعمةٍ فقِلْ في مقيلٍ نَحسه متغيبِ

تقديره :فقل في مقيل متغيب نحسه ، ثم قدم وأخر كما ترى . فقلت له :ليس هو على هذا التقدير – فوقع لي في الوقت خاطر – قال :فأي شيء تقديره؟ فقلت: قل في مقيل نحسه وتم الكلام ، كما تقول :مررت بمضروب أبوه كريم ، والتقدير:

[1]ينظر :مجالس العلماء، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ص318 .

[2]ينظر : الزجاجي – مجالس ثعلب ص 318 ، وديوان امرئ القيس.

"مررت برجل مضروب أبوه "، ثم تجعل كريمًا نعتًا للمتروك الذي في النية فكأنه قال: فقِلْ في مقيل نحسه – يقال في نحسه أي سكن، والنحس :الدخان أيضًا – ثم قال: متغيب "بعد أن تم الكلام ، فكأنه قال :متغيبٍ عن النحسِ.

فقال : هذا لعمري وجه على هذا التقدير. قال أبو الحسن : فحدثت أبا العباس المبرد بما جري ، فقال : هذا شيء كان خطر لي فخالفت النحويين ؛ لأنهم زعموا أنه مما أتي به امروء القيس ضرورة ثم رأيته بعد ذلك قد أملاه.

تعقيب:

قبل التعقيب على ما جاء في هذا المجلس لابد من ذكر ملاحظة مهمة تخص النحوي ابن كيسان فالزبيدي في" طبقات النحويين واللغويين "يضعه في الطبقة السادسة من نحاة الكوفة أصحاب ثعلب ويقول :إنه أتقن المذهبين البصري والكوفي ولكنه أميل إلى البصريين[1]

ومهدي المخزومي في دراسته" مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو "يضعه – أيضًا – في الطبقة السادسة من نحاة الكوفة[2]

أما شوقي ضيف في" المدارس النحوية "فيصنفه من نحاة المدرسة البغدادية[3]

ولعل ما قاله الزبيدي" :إنه أميل إلى البصريين "يبرر بعض العبارات التي وردت في المجلس مثل" أوليس هو عندك اسم "..و.."وما بعده خبر على مذهبكم" ومما تقدم سابقًا نخلص إلى الآتي:

- **أولا** : طبقة ثعلب وطبقة ابن كيسان واحدة وهي الطبقة السادسة من نحاة الكوفة ، وهذا يؤكد ماقلناه سابقًا بأن الخلاف ظاهرة صحية تصب في سلامة النحو وعافيته وهذا الخلاف بين النحويين يشير إلى أن الخلافات النحوية تحدث في أضيق نطاق حتى بين نحاة المدرسة الواحدة ، بل حتى بين نحاة الطبقة الواحدة داخل المدرسة الواحدة.
- **ثانيًا** : يتضح مما دار في المجلس أن الخلاف كان حول الحديث عن اسم الفاعل وعمله ، ويبدو أن كليهما" ثعلب وابن كيسان "متفقان في عمل اسم الفاعل

[1] ينظر : طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي ، ص170

[2] ينظر : مدرسة الكوفة ، مهدي المخزومي، ص75

[3] المدارس النحوية، شوقي ضيق ص20

ولكن خلافهما في شروط عمل اسم الفاعل ؛ فثعلب يرى أن اسم الفاعل هو فعل دائم ويعمل إذا تقدم أو تأخر أما ابن كيسان فيرى أن اسم الفاعل هو اسم يعمل عمل الفعل إذا تقدم ولم يكن فيه ضمير،فإذا تأخر كان بمنزلة المؤخر الخبر،فلزمه أن يقع فيه ضمير في الاسم المتقدم (المبتدأ)،يرتفع كما يكون ذلك في الفعل إذا تأخر.

- **ثالثًا** : الخلاف في البيت في قوله" :قل في مقيل نحسه متغيب." حيث يرى ثعلب أن "متغيب "تعمل متقدمه فقط ، حيث قدر" فقل في مقيل متغيب نحسه"، حيث رفع بها نحس، حيث عملت" متغيب "الرفع في» نحس." بينما يرى ابن كيسان أنها لا تقدير فيها" فقل في مقيل نحسه متغيب "، حيث عملت" متغيب "وهي متأخرة في" نحس " لكن شريطة دخول الضمير على" نحس"، وهي المبتدأ.
- **رابعًا** : بعد الخلاف والتقدير والتأويل يبدو أن ثعلب قد أجاز الوجهين : عمل اسم الفاعل مقدمًا أو مؤخرًا وهذا واضح من قوله" :هذا لعمري وجه على التقدير"، وهذا ما ذهب إليه المبرد كذلك. هذا ما كان من أمر الخلاف بين الكوفيين فيما بينهم ، وقد دللنا به على ضيق نطاق الخلاف وأنه ظاهرة طبيعية سايرت النحو عبر مراحله العديدة وساهمت في تطوره.

الخلاف بين البصرة والكوفة[1]

اشتد الخلاف في النحو العربي، وظهرت المدارس النحوية، وقوي الصراع بين البصرة والكوفة، ونحسب أن كل ذلك يؤكد صحة النحو وعافيته وإذا تتبعنا المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين وجدناها كثيرة ومتعددة، وهنا نشير إلى السفر الرائع الذب ألفه العلامة الشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن محمد بن أبي سعيد الأنباري–رحمه الله– المسمى ب(الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحوين البصريين والكوفيين) الذي جمع فيه مجموعة من المسائل الخلافية وعرض فيه أراء البصريين والكوفيين وناقشها ورجح بعضها، وحسبنا مسألتين من تلك المسائل المتعددة نعرضها

[1] المدارس النحوية، شوقي ضيق ص56

نموذجا للخلاف بين البصريين والكوفيين، ثم نبين من خلالهما آراء كل ثم نناقش تلك الآراء ونحاول أن نعرض وجهة نظرنا من خلال ذلك.

المسألة الأولى: جواز العطف على الضمير المخفوض وامتناع ذلك[1]

اختلف نحاة البصرة والكوفة حول هده القضية حيث أجازها نحاة الكوفة، بينما منعها نحاة البصرة، ثم جاء إبن الأنباري ورجح بين الرأيين.

رأي البصريين:

ذهب البصريون إلى امتناع العطف على الضمير المخفوض، وحجم في ذلك ما يلي:

1) أنه لا يجوز العطف على الضمير المخفوض، لأنه الجار والمجرور بمنزلة الشيء الواحد، فإذا عطفت على الضمير المجرور فكأنك عطفت الاسم على الحرف الجار، وعطفت الاسم على الحرف لا يجوز.
2) ومنهم من قال: إن الضمير صار عوضا عن التنوين فينبغي ألا يجوز العطف عليه، كما لا يجوز العطف على التنوين.
3) ومنهم من قال: إنه لا يجوز أن يُقال: "مررت بزيدوك فكذلك لا يجوز عطف المظهر المجرور على الضمير المجرور، فلا يقال: ممرت بك وزيد"، لأن الاسماء مشتركة في العطف فكما لا يجوز أن يكون معطوفا فلا يجوز أن يكون معطوفا عليه.

رأي الكوفيين:

يرى الكوفيون أن العطف على الضمير المخفوض جائز ، وكانت حججهم في ذلك الشواهد من القرآن الكريم والشعر ، والشواهد القرآنية هي:

1. قراءة الخفض في قوله تعالى" :وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ[2]"، وهي قراءة حمزة الزيات من السبعة ، وإبراهيم النخعي ، وقتادة ، ويحيي بن وثاب ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش ، ورواية الأصفهاني والحلبي عن عبد الوارث ،

[1]ابن الأنباري ، الإنصاف ، ج 2 مسألة 65 ص 463 -474.

*هذه المسألة ناقشها د /مرتضى فرح علي وداعة في رسالته – الوجوب والجواز والامتناع في النحو العربي ص 235

2سورة النساء الآية1

حيث عطف" الأرحام "على الضمير المجرور بالباء في" به. "

2. قوله تعالى" :وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ[1]"حيث خفض "ما "اسم الموصول بالعطف على الضمير المخفوض ب"في "في" فيهن. "

3. قوله تعالى" :لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلا ةَ[2]"حيث عطف" المقيمين "على الضمير المجرور في" إليك "أو" من قبلك. "

4. قوله عز وجل" :وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَأُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ[3]"حيث عطف المسجد الحرام "على الضمير المجرور بالباء في قوله" به. "

5. قوله تعالى" :وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ برَازِقِينَ[4]"فاسم الموصول من "في موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض في» لكم."

أما الشواهد الشعرية التي اعتمدوا عليها ، فهي:

قول الشاعر[5]

فاليوم قربت تهجونا وَ شُتمَنا فاذهب فما بِك والأيامِ مِن عجبِ

حيث خفض" الأيام "بالعطف على الضمير المخفوض في" بك. "

قول العباس بن مرادس[6]

أكر على الكتيبةِ لا أُبالي أَفيها كَان حْتفِي أم سِواها

حيث عطف" سواها "ب"أم "على الضمير المخفوض في" فيها. "

1سورة النساء الآية127

2سورة النساء الآية162

3سورة البقرة الآية 217

4سورة الحجر الآية 20

ينظر :سيبويه – الكتاب 383/2 ، وابن السيرافي – شرح أبيات سيبويه تحقيق /محمد الريح هاشم – دار الجيل بيروت ط 1 1416 هـ 1996 –م ج 2 ص 145 والبغدادي

5شرح عمدة الحافظ واللافظ، ابن مالك ،تحقيق /رشيد عبد الرحمن العبدي – لجنة إحياء التراث – العراق ط1، 1997 م ص 662 ، الخزانة 2/ 123، وابن يعيش شرح المفصل3 /78 وهو من الخمسين بيت التي لم يعرف قائلها.

6البغدادي–الخزانة(5 /25) وصاحب الإنصاف لم ينسبه إلى قائل معين،انظر الإنصاف مسألة65، 464/2.

قول مسكين الدرامي[1]

تعلّق في مثلِ السوارِي سِيوُفنا وما بينها والكعبِ غوط نفانف

حيث عطف" الكعب "على الضمير المخفوض في" بينها. "

وغوط نفانف :يعني أن قومه طوال وأن السيف وكعب الرجل منهم غائط ، وهو المكان المطمئن من الأرض ، ونفانف : واسعة ، أي : أن بين السين والكعب مسافة.

قول الشاعر[2]

هلاَّ سألت بذي الجماجمِ عْنهم وأبي النعيمِ ذي اللواءِ المحرقِ

ف"أبي النعيم "خفضت بالعطف على الضمير المخفوض في" عنهم "يتضح مماسبق أن نحاة الكوفة اعتمدوا على الشواهد في تأييد رأيهم ، فماذا قال ابن الأنباري في ترجيحه، أهو رجح رأي البصريين أم رأي الكوفيين ، ولِم ؟؟ هذا ما نراه في الفقرات التالية:

الترجيح:

يتضح أن ابن الأنباري قد وافق البصريين فيما ذهبوا إليه ، إذ إنه لم يرد على كلماتهم ، وإنما رد على كلمات الكوفيين بما يلي:

1 / احتجاجهم بقول الله تعالى" :واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ[3]"لا حجة لهم فيه من ناحتين هما:

الأولي :إن قوله" :والأرحام "ليس مجرورًا بالعطف على الضمير المخفوض في" به "، وإنما هو مجرور بالقسم الذي جوابه" :إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً".

الثانية : إنه ليس مجرورًا بالباء المقدرة التي حذفت لدلالة الأولي عليها ، أي" به والأرحام. "

2 /احتجاجهم بقوله تعالى" :وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ [4]"، لا حجة لهم فيه من وجهين هما:

1ديوانه ، مسكين الدارمي ربيعة بن عامر، جمع وتحقيق /إبراهيم الطعية وعبد الله الجبوري ، مطبعة دار البصري ط 1 1970 م ص 53 ، وابن منظور اللسان ج 5 مادة غوط ص 3316 ، وابن الأنباري – الإنصاف مسألة65) 464/2.

2البغدادي – الخزانة 5/ 125، وابن مالك ،شرح عمدة الحافظ ، ص 662 وابن الأنباري – الإنصاف مسألة 466/2 ، * ذي الجماجم قيل سمي بذلك لكثرة القتلى وقيل غيره .

3سورة النساء الآية 1

4سورة النساء الآية127

الأول : إن" ما "ليس في موضع جر ، وإنما هو في موضع رفع بالعطف على الله "، والتقدير":الله يفتيكم فيهن ويفتيكم فيهن ما يتلى عليكم "وهو القرآن الكريم

الثاني : إذا سلمنا بأنه في موضع خفض ، فهو بالعطف على النساء لا على الضمير ، أي : "يستفتونك في النساء ... وما يتلى عليكم."

3/ احتجاجهم بقوله جلَّ جلاله" :لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ [1]"...، لا حجة لهم فيه من جهتين هما:

الأولي :إن قوله" :والمقيمين "في موضع نصب على المدح على تقدير :أعني المقيمين ، لا في موضع جر ، ومما يؤيد ذلك قول الحرنق بنت هافان[2]

لا يبعدن قومي اللذين هم سم العداةِ وآفةِ الجذرِ

النازلون بكلِّ معترِكٍ والطيبين معاقد الأزرِ

حيث نصب" الطيبين "على المدح ، أي" : أعني الطيبين "ويروي" :والطيبون" بالرفع على الاستئناف ، أي" :وهم الطيبون "وغيرها من الشواهد التي ذكرها.

الثانية :إذا سلمنا أنه في موضع جر ، فيكون بالعطف على اسم الموصول" ما" في" بما "من قوله" :بما أُنزل إليك "والتقدير" :بما أُنزل إليك ...والمقيمين الصلاة. " هذا ، ويذكر ابن الأنباري أنه قد روِي عن السيدة عائشة–رضي الله عنها– أنها سئلت عن" والمقيمين "فقالت" :خطأ من الكتاب"، و روِي عن بعض ولد عثمان أنه سئل عنه ، فقال :إن الكاتب قيل له" :اكتب" : والمقيمين "فكتبها كما هي أي :كما أمليت عليه ، وكان عليه أن يكتبها بالواو كما كتبت عليه.

4/ احتجاجهم بقوله تعالي" :وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [3]لا حجة لهم فيه، إذ إن "المسجد الحرام "مجرور بالعطف على" سبيل الله "لا على الضمير المخفوض في» به"، والتقدير :صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام.

5/ احتجاجهم بقول الله عز وجل" :وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَه برَازِقِينَ[1]"، لا حجة لهم فيه ، وذلك لأن" من "في موضع نصب بالعطف على "معايش "، أي" :جعلنا لكم فيها المعايش والعبيد والإماء.

1سورة النساء الآية 162

2ينظر البيت في : الخزانة الادب ، البغدادي 5 /41، وروى بالرفع والنصب، وابن عطية" المحرر الوجيز4 /291."

3سورة البقرة الآية217

هذا من ناحية الشواهد القرآنية ، أما من ناحية الشواهد الشعرية فقد تتبعهاواحدًا واحدًا ، ثم ردها جميعًا ، ويتضح ذلك فيما يلي:

1/ قول الشاعر[2]

فما بك والأيام من عجب

لا حجة لهم فيه،حيث جرت" الأيام "بالقسم لا بالعطف على الكاف في" بك."

2/ لا حجة لهم في قول الشاعر[3]

أفيها كان حتفي أم سواها

وذلك لأن" سواها "في موضع نصب على الظرفية ، وليس مجرورًا على العطف ، لأنها لا تقع إلا منصوبة.

3/لا حجة لهم في قول القائل[4]

وما بينها والكعب غوط نفانف

وذلك لأن" الكعب "ليس مجرورًا بالعطف على الهاء في" بينها "، وإنما هو على تكرير" بين "، حيث التقدير" :وما بينها وبين الكعب. "

4/):قول الشاعر[5]

وأبي النعيم ذي اللواء المحرق

لا حجة لهم فيه ؛ لأن" أبي النعيم "ليس مجرورًا بالعطف على الضمير" هم" في" عنهم "، وإنما بتكرير "عن "، والتقدير" : عنهم وعن أبي النعيم. "

هذا ما قاله ابن الأنباري في الرد على الكوفيين مفندًا كل ما ذهبوا إليه ، في حين أنه لم يذكر شيئًا عن البصريين فهل هو محق فيما ذهب إليه أم لا ؟؟ وأيهم على صواب البصريون أم الكوفيون ؟؟ الإجابة عن هذه الأسئلة تتضح في تناول هذه المسألة بالمناقشة

.

1سورة الحجر الآية20

[2]سبق تخريجه ينظر صفحة 79 من هذا البحث

3سبق تخريجه ينظر صفحة 79 من هذا البحث

4سبق تخريجه ينظر صفحة 80 من هذا البحث

5سبق تخريجه ينظر صفحة 80 من هذا البحث

مناقشة هذه المسألة[1]:

نحن نحطاط كثيرًا عند مناقشة مثل هذه المسائل ، ولابد من قول الحق دون التعصب إلى فئة دون الأخرى ؛ ولذا لابد من مناقشة رأي البصريين ، ثم الكوفيين ، ثم ما ذهب إليه ابن الأنباري في ترجيحه.

مناقشة رأي البصريين:

من الملاحظ أن نحاة البصرة قد اعتمدوا على الأدلة العقلية من غير الاعتماد على الشواهد ، فكان الأولي بهم أن يؤيدوا ما ذهبوا إليه بالشواهد ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر يمكن الوقوف على ما قالوا بالتفصيل فيما يلي:

1) قولهم : إن الجار والمجرور كالشيء الواحد ، وعليه لا يجوز العطف على الاسم لأنك إذا عطفت عليه كأنك عطفت على الحرف وهذا القول فيه تحمل فيكف نعطف على الحرف والعطف من التوابع ولابد أن يتبع المعطوف لما عطف عليه مثله في ذلك مثل الوصف الذي يتبع لما قبله ، نحو" :قابلت زيدًا الكريم "، و"مررت به الكريمِ "، ولما كان العطف تابعًا مثله مثل الوصف ، عليه يمكن أن نعطف على الضمير المخفوض ، مثلما تتبع له الصفة.
2) قولهم :إن الضمير صار عوضًا من التنوين ، وبما أنه لا يجوز العطف على التنوين كذلك لا يجوز العطف على الضمير ، يبدو فيه مجافاة للصواب ؛ لأن الجر كلمة ليس فيه عوض عن التنوين ، إلاَّ الجر بالإضافة ، أما الجر بالحرف فلا تعويض فيه ، فأين التعويض من التنوين مث ً لا في الممنوع من الصرف نحو:مررت بأحمد "و"مررت بالصحراءِ "إذا الضمير منها" به " و"بها."
3) إن المثال الذي ضربوه لنا" مررت بزيدوك "صواب ، إلا أن الصياغ يختلف في مررت بك وزيد "فامتناع الأول لا يعني امتناع الثاني كما ذهبوا إليه .

[1] سبق تخريجه ينظر صفحة 80 من هذا البحث

هذا ما أمكن قوله في مناقشة كلمات نحاة البصرة ، وبعد يمكن تناول كلمات نحاة الكوفة بالعرض والتحليل.

مناقشة رأي الكوفيين:

من الواضح أن الكوفيين قد سلكوا منهجًا وصفيًا فيما ذهبوا إليه ، حيث وضعوا النصوص أمامهم ، ووصفوها ، ثم استنبطوا الحكم النحوي – جواز العطف على الضمير المخفوض – بعيدًا عن التعصب لمذهبهم النحوي ، ومما يؤيد ذلك أن الفراء أحد مؤسسي المذهب الكوفي قد رفض جواز الخفض على المضمر من خلال تناوله لقراءة حمزة ، إذ يقول :وقوله" :الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ[1]"، فنصب الأرحام "؛ يريد :واتقوا الأرحام أن تقطعوها .. قال حدثني شريك بن عبد الله عن الأعمش عن إبراهيم – إبراهيم النخعي – أنه خفض الأرحام ، قال : هو كقولهم :بالله وبالرحم ، وفيه حرج ؛ لأن العرب لا ترد مخفوضًا على مخفوض وقد كني عنه، وقد قال الشاعر في جوازه[2]

تعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف

وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه[3] فالكوفيون لم يتبعوا قائدهم ، وإنما اخضعوا ذلك لواقع اللغة فوجدوه جائزًا فأجازوه ، أما البصريون فقد نقلوا ما قاله إمامهم سيبويه من غير نقص أو زيادة إذ يقول" :ومما يقبح أن يشرك المظهر علامة المضمر المجرور وذلك قولك :مررت بك وزيد ، وهذا أبوك وعمرو كرهوا أن يشرك المظهر مضمرًا داخلا فيما قبله ؛ لأن هذه العلامة الداخلة فيما قبله جمعت أنها لا يتكلم بها إلاَّ معتمدة على ما قبلها ، وأنها بدل من اللفظ بالتنوين فلما ضعفت عندهم كرهوا أن يتبعوها الاسم ..، وقد يجوز في الشعر أن تشرك بين الظاهر والمضمر على المرفوع والمجرور[4]"

فما قاله سيبويه هو ما قاله جمهور البصريين ، بل إن سيبويه أشد تساهلا منهم، حيث جعل العطف على الضمير المخفوض جائزًا للضرورة الشعرية ولم يمنعه البتة ولكن يبدو أن البصريين ما منعوه إلاَّ ليردوا شواهد الكوفيين على كثرتها.

1سورة النساء الآية1

2سبق تخريجه انظر صفحة 80 من هذا البحث.

3الفراء ، معاني القرآن ص 252-253

4الكتاب سيبويه ، ابو سعيد الحسن السيرافي 2 ص 381-382.

هذا بالنسبة للشاهد الأول ، أما الشواهد الأخرى فنلاحظ أنه إذا قلنا" :جاء زيد وعلي "نعني : جاء زيد وجاء علي ، وكل الشواهد التي أتوا بها على هذا ، حيث تقول" :فيهن وفيما يتلى عليكم "و"ما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة "و"كفر به وبالمسجد الحرام "و"فما بك وبالأيام "و"أفيها كان حتفي أم في سواها "و"ما بينها وبين الكعب "و"وعنهم وعن أبي النعيم "فهذا كله صواب ؛ لأن المعني مستقيم ولا خلل فيه، إنما الاحتمالات الأخرى أضعف من الجر على العطف الذي يعني الاشتراك في الحكم[1]

مناقشة ترجيح ابن الأنباري:

الملاحظ أن ابن الأنباري قد مال كثيرًا إلى البصريين وأجحف بالكوفيين ، ويتضح ذلك من خلال الآتي:

1. أ / قول الزجاج..." :القراءة الجيدة نصب الأرحام ، والمعني اتقوا الأرحام أن تقطعوها ، فأما الخفض فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار الشعر ، وخطأ – أيضًا – في أمر الدين عظيم ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال"لا تحلفوا بآبائكم[2]"، فكيف يكون تساءلون بالله وبالرحم على ذا [3] "فكلام الزجاج على الرغم من مغالاته ، إلاَّ أن الفائدة التي تؤخذ منه هي منع الخفض بالقسم في" الأرحام."

1.ب /قد أنكر ذلك – أيضًا – إسماعيل بن إسحق وقال :إن الحلف بغير الله أمرعظيم ، فإن ذلك خاص بالله عز وجل[4]

1.ج /لم يذكر سيبويه إمام البصريين والنحاة ، ولا الكسائي والفراء إماما نحاة الكوفة شيء من هذا القبيل[5]

---

[1]الكتاب سيبويه ، ابو سعيد الحسن السيرافي 2 ص 381..

2ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج 17 ص 19 ، 20 ، 35

3الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه 2 /6.

4البغدادي، الخزانة 5 /128.

5ينظر : الكتاب سيبويه ، ابو سعيد الحسن السيرافي 2/381-382 ، والكسائي – معاني القرآن – ص 110 ، والفراء – معاني القرآن.1/252-253

2/ من الملاحظ في الشاهد الثاني أنه يتأرجح بين الجواز والإنكار ثم يجيزه-أي الجر-لكن بالعطف على" النساء "، ولعل المعني الذي قصده الكوفيون أقرب- فكيف يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في النساء وفي القرآن ، أي : يفتيكم في النساء في كتابه العزيز.

3/ إن النصب الذي ذهب إليه في" المقيمين "لا نوافقه فيه من ثلاث أوجه هي:

الأول : إنه ذكر على لسان السيدة عائشة-رضي الله عنها -بأنه خطأ من الكاتب ، وهذا في الأصل رأي الفراء إمام الكوفيين إذ يقول" :وحدثني أبو معاوية الضرير عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة أنها سئلت عن قوله: إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ[1]، وعن قوله" :إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُون[2]" ، وعن قوله" :وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ[3]،

" لكن السؤال المطروح في هذا الحيز :إن" المقيمين "تكون بالياء نصبًا وجرًا، فكيف فضل البصريون النصب على الجر مع إقرارهم إن الكتابة بالياء خطأ مطلقًا سواء كانت منصوبة أم مجرورة؟؟ هذا من جانب ، ومن جانب آخر: إن الخطأ الذي ذكِر لا مجال له في الكتاب العزيز ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول" :إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكرَ وَإِنَّهُ لَحَافِظُونَ[4]"، وقد تكون قراءة من القراءات؛ لأن علم القراءات في عهد السيدة عائشة لم يستوِ على سوقه.

الثاني :على الرغم من ذكره أنه خطأ من الكتاب أخذ يؤول فيه ، فالخطأ لا يصبح صوابًا في يوم من الأيام.

الثالث : إن الشاهد الذي أتي به لتأييد رأيه بعيد عن الآية الكريمة ، ففي الآية الجر بالحرف للضمير ، ثم العطف عليه كما ذهب إليه الكوفيون ، أما في الشاهد فوجد الوصف المرفوع" النازلون "ثم جاء الوصف المنصوب "والطيبين "أي : أعني الطيبين. ومما يعجب في هذا الحيز قول الكسائي" :و " والمقيمين" موضعه خفض يرد على قوله :بما أنزل إليك وما أنزل من قبل ويؤمنون بالمقيمين الصلاة

1سورة طه الآية 63

2سورة المائدة الآية69

3سورة النساء الآية162

4سورة الحجر الآية9

هم والمؤتون الزكاة[1]"، حيث جعل" المقيمين "مخفوضًا بتقدير الباء ، وقد نفي النصب بحجة قوية إذ يقول":لا ينصب الممدوح إلاَّ عند تمام الكلام[2]" لكن الأولي بالكسائي في تقدير الجر أن يقول : بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة.

4/ إن قوله – في الشاهد الرابع – التقدير" :صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام "، أحسن من قول" :كفر به وبالمسجد الحرام "لأن البيت الحرام يصد عنه ولا يكفر به ، وقد ذهب الفراء إلى ما قيل حيث قال" :والمسجد الحرام "مخفوض بقوله: يسألونك عن القتال وعن المسجد[3]"

أما فيما يختص بالشواهد الشعرية ، فيمكن القول عنها ما قيل في مناقشة رأي الكوفيين جملة ، أما التفصيل فكما يلي:

1/ رده على الشاهد[4]

فما بك والأيام من عجب

أنه لا حجة فيه وأن" الأيام "مجرورة بالقسم لا يقترب من الصواب ، فأين القسم في البيت حتى يجر به ؟ !هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد وافق يونس، والأخفش وقطرب من البصريين مذهب الكوفيين فيه[5] ، كما وافق الشلوبين ، وابن مالك ، حتى سيبويه لم يرفضه وإنما استشهد به على جوازه للضرورة الشعرية فما بال ابن الأنبارى يتعنت ويرفضه جملة وتفصيلا ؟!

2/ رده على الشاهد[6]

أفيها كان حتفي أم سواها

بأنه لا حجة لهم فيه ، وذلك أن" سواها "منصوبة على الظرفية ؛ لأن التقدير القريب هو : "أفيها...أم في سواها " ولعل هذا تعسف من ابن الأنباري لا غير ، قال البغدادي في تعليقه على كلام ابن الأنباري" :هذا ما أورده ابن الأنباري ولا يخفي ما في غالبه من التعسف[7]"

1نقلا عن معاني القرآن ، الفراء 1 /121

2المصدر نفسه ص 121

[3]معاني القرآن ، الفراء 141/1

[4]ينظر صفحة 79 من هذا البحث

[5]الكتاب سيبويه ، السيرافي 2 /382-383.

[6]انظر صفحة 80 من هذا البحث

[7]الخزانة ، البغدادي 127/5

3/ رده على الشاهد[1]

وما بينها والكعب غوط نفانف

أنه لا شاهد لهم فيه ؛ لأن الجر ب"بين "مقدرة ، والتقدير" :ما بينها وبين الكعب "، وهذا غير مخالف لمذهب الكوفيين لأن العطف في الأصل يكون لذلك ، فعندما نقول :في السماء والأرض ، نعني : في السماء وفي الأرض ؛ لأن العطف اشتراك في العامل والحكم.

4/ رده على عدم وجود حجة في قول الشاعر[2]

وأبي النعيم ذي اللواء المحرق

أنه مخفوض بتكرار الجار ، لا بالعطف على الضمير المخفوض ويمكن القول عنه ما قيل عن سابقه. مما سبق قوله عن جواز عطف الظاهر على المضمر المخفوض ، وامتناعه يمكن القول : إن الكوفيين أصحاب منهج واضح في طرح رأيهم حول هذه القضية إلا أن ابن الأنبارى قد تحامل عليهم ووقف بجانب البصريين على الرغم من اعتماد البصريين على الحجاج العقلي فقط الذي لا تدعمه شواهد بخلاف الكوفيين الذين اعتمدوا على وفرة من الشواهد.

المسألة الثانية:

جواز إتيان (كي) حرف جر وامتناع ذلك اختلف البصريون والكوفيون في جواز إتيان" كي "حرف جر وامتناع ذلك؛ فذهب البصريون إلى جوازه بينما منعه الكوفيون وقالوا :إن" كي "تأتي حرف نصب فقط ، وقد كانت حججهم مختلفة ، فأيهما أقوي وأصوب ؟؟ هذا ما يتضح من خلال الفقرات التالية.

رأي البصريين:

ذهب البصريون إلى جواز كون" كي "حرف جر للآتي :

1/ دخولها على الاسم" ما "مثلها ومثل حروف الجر الأخرى.

2/ حذف الألف من" ما "الاستفهامية موجود مع حروف الجر فقط ، مثل" :بم ، فيم ، عم "، وقد دعموا ذلك بالشواهد من القرآن الكريم وهي:

1انظر صفحة 80 من هذا البحث

2انظر صفحة 80 من هذا البحث

قوله تعالى " :**لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ**[1]"

وقوله " :**فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**[2]"

وقوله " :**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**[3]"

وقوله " :**فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا**[4]"

3/ إن العرب تقول" :لِمه "كما تقول :كيمه "هذا وقد عوض عن الألف بهاء السكت صيانة للحركة عن الحذف.

رأي الكوفيين:

منع الكوفيون جواز كون" كي "حرف خفض ، وذلك للآتي:

1/ إن" كي "من عوامل الأفعال ، لا من عوامل الأسماء وعوامل الأسماء من حروف الجر ، وعوامل الأفعال لا يمكن أن تكون من عوامل الأسماء.

2/ إن" كي "تقبل اللام ، فتقول" :لكي "وحروف الخفض لا تدخل على بعضها ، وقول الشاعر[5]

فَلاَ واللهِ ما يُلْقي لِمَا بي ولا لِلمَا بهمْ أبَدَاً دَوَاءُ

فهو من الشاذ الذي لا يعول عليه ، ولا يؤخذ به للإجماع وموضع الشاهد قوله" :للما بهم "حيث أكد الشاعر اللام الجارة توكيدًا لفظيًا فأعادها بنفس لفظها الأول من غير أن يفصل بين المؤكد والتوكيد.

3/لا يجوز أن تقول :إن الدليل على إنها حرف جر دخولها على" ما "الاستفهامية ، فيقال" :كيمه " كما يقال" :لمه "وهي في موضع نصب لا جر ، والتقدير" :كي ماذا تفعل"؟

1سورة الصف الآية2

2سورة الحجر الآية 54

3سورة النبأ الآية1

4سورة النازعات الآية43

5البيت لمسلم بن معبد الوالبي في البغدادي – الخزانة 308/2 وابن فارس – الصحابي – ص 56 ، وابن الأنباري – الإنصاف – مسألة 78 571/2

الترجيح:

كان ابن الأنبارى مرجحًا بين الحكمين ، ورجح رأي البصريين على الكوفيين بما يلي:

1/إن قول الكوفيين إن" كي "من عوامل الأفعال فقط ، لا نسلم به ؛ وذلك لأن " كي "على نوعين ، هما:

الأول : أن تكون ناصبة من عوامل الأفعال ؛ وذلك إذا دخلت عليها اللام ، ومن ذلك قوله تعالى : "لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ[1]"

الثاني :أن تكون حرفًا ك"اللام "، وهنا معناها كاللام فتقول" :جئتك كي تكرمني "و"لتكرمني "، والمعني واحد وهي في هذا تشبه" حتى "حيث تنصب الفعل وتجر الاسم و"خلا "و"حاشا "التي تكون حرف نصب في حال ، وحرف جر في حال آخر.

2/ إن قولهم – الكوفيون – إن" مه "في موضع نصب غير صحيح لأنها إذا كانت في موضع نصب لا تحذف منها الألف ، فلا يصح قولك" :م تفعل؟ "في" ماتفعل."

مناقشة هذه المسألة:

من خلال الخلاف في هذه المسألة سوف تكون المناقشة جملة دون فصل رأي البصريين ، أو الكوفيين ، أو ابن الأنباري على حده ، ذلك لأن الحديث سوف يكون عن" كي "متي تكون حرف جر ، وحتى تكون حرف نصب ؟ ردًا على الفريقين من خلال ذلك.

عليه يمكن القول :إن" كي "يجوز فيها أن تكون حرف جر ، وحرف نصب، فما موضع كل؟؟ المواضع التي تكون فيها" كي "حرف جر:تكون" كي "حرف جر في المواضع التالية[2]

1/إذا دخلت على" ما "الاستفهامية ، فتقول" : كيمه "مثل" لمه. "

2/إذا دخلت" ما "المصدرية نحو قول الشاعر[3]

إذا أنْتَ لم تَنْفَعْ فَضُرْ إنَّما خُلِقَ الفتَي آَيْمَا يَضُرُ وَيَنْفَعُ

أي : للضر والنفع.

---

[1] سورة الحديد الآية22

2حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك : محمد بن علي الصبان ،ط2 دار إحياء الكتب العربية , القاهرة , د .ت ص 211

3الشاهد من شواهد ابن هشام – اوضح المسالك 10/3، وفي المغني205/1 وحاشية الصبان211/2 وقد اختلفوا في روايته حيث رواه صاحب الحاشية : يراد الفتي ، أما ابن هشام فرواه : يرجي الفتي في الغني ، ويراد الفتي في أوضح المسالك ، وكان الأولي به أن يثبت روايته أو يثبت الروايتين معًا في كليهما وهو مختلف قائله ؛ فمنهم من قال لقيس بن الخطيم ، ومنهم من قال للنابغة الزبياني ومن قال للنابغة الجعدي

3/إذا دخلت على" أن "المصدرية وصلتها ، وذلك نحو" :جئت كي تكرمني "، ثم تكون بمعني : جئت كي أكرمك أي : لإكرامك المواضع التي تكون فيها" كي "حرف نصب :رفض الكوفيون كونها حرف ، واشترط ابن الأنباري اقترانها باللام حتى تكون حرف نصب ، والذي ننبه إليه أنها تكون حرف نصب إذا اقترنت باللام أو لم تقترن ، والشواهد على عدم الاقتران باللام كثيرة منها[1]

1/ "قوله تعالى" :فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ آَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ"[2] حيث نصبت" كي المضارع" تقر "من غير اقتران باللام.

2/وقوله تعالى" :كي لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكم حيث جاءت (كي) غير مقترنة باللام.

3/قول النابغة[3]

وَقَفْتُ فِيهَا طويلاً آي أُسَائِلَها عَيَتْ جَواباً ومَا بالرَّبعِ مِنْ أحد

حيث نصب" كي" "أسائل "، ولم تقترن باللام.

أما الشواهد على اقترانها باللام ، فمنها:

1/قول الله عز وجلَّ " :لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ[4]"

2/وقوله" :وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ[5] "

3/قول عمر بن ربيعة[6]

إذا جئتَ فامنحْ طرفَ عينك غَيْرنَا لِكَي يَعْلَمُوا أنَّ الهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

حيث جاءت" كي "في الآيتين والشاهد النحوي مقترنة باللام وعملت في" يعلم "و"يعلموا " و"يكون "النصب . هذا ما كان من أمر مواضع النصب والجر ب"كي "لكن هنالك ملاحظات عامة لابد منها.

1أوضح المسالك ، بن هشام الأنصاري 4 /13-14 وهو من كلام محمد محي الدين عبد الحميد بالحاشية

2سورة القصص الآية13

3النابغة، ديوانه ص 30 وروايته أصيلانًا تصغير أصلان

4سورة الأحزاب الآية 37

5سورة النحل الآية70

6عمر بن ربيعة ، ديوانه ، ص 101 ، وأوضح المسالك 14/3 من الحاشية

ملاحظات عامة:

هنالك بعض الملاحظات يمكن إيجازها فيما يلي:

1/ ذكر الكوفيون أن اللام تدخل على" كي "؛ ولذلك فهي ليست حرف جر؛ لأن حرف الجر لا يدخل على أخيه ، وقد ورد دخول" كي "على اللام ، ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرقيات[1]

كي لِتَقْضِيني رُقية مَا وَعَدْتِني غَيرَ مُخْتلَسِ

فكما وردت" كي "داخلة على اللام ، وكلاهما حرف ، فيجوز العكس ، زد على ذلك فإنها قد دخلت عليها في القرآن الكريم في نحو قوله تعالى" :لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكمْ[2]"، وكلاهما للتعليل ، فكيف يجوز دخول حرف النصب على أخيه، ولا يجوز ذلك في حرف الجر ؟!

2/ ذكر الكوفيون أن" مه "في محل نصب مفعول به ، وأن الأصل" كي "يفعل ماذا ، ويمكن الرد على ذلك بالقول إن" ما "الاستفهامية من الأسماء التي لها الصدارة ولذلك لا يتماشى معها هذا التقدير ، ولم يثبت عن العرب أنهم نصبوها في غير الصدارة[3] عليه يمكن القول : إن الكوفيين قد ذهبوا بعيدًا عن الصواب في الدفاع عن مذهبهم في هذه المسألة ، كما أن البصريين قد تعصبوا لرأيهم ، وكان الأولي بالفريقين أن يجيزوا الوجهين ؛ لأن هنالك من الحروف ما يختص بالأسماء ومنها ما يختص بالأفعال ، ومنها ما لا يختص بل يدخل على النوعين معًا ، مثل : هل وما النافية ، وغيرهما .

1ينظر : أوضح المسالك ، ابن هشام الانصاري 3 /14

2سورة الحديد الآية23

3المغني ، السيوطي 2 /207

خاتمة

خاتمة:

يمكن حصر أهم النتائج المحصل عليها على النحو التالي:

1. أهل الكوفة أهل قرآن وفقه وحديث ورواية وأخبار حتى وإن توجهوا في دراسة اللغة لأن طابعهم الأدبي على الطابع اللغوي ومن ثم كانت الكوفة أوفر حضا في الرواية والشعر وكانت البصرة أوفر حضا في اللغة.
2. نشأة المدرسة الكوفية مع جعفر الرؤاسي ومع معاذ الهراء حتى ولو لم يخلفوا البصريين فهما كأبي الأسود الدؤلي منشئ المدرسة البصرية حيث قيل عنه أنه واضع نقاط الإعجام للقرآن.
3. الكسائي أول من أشهر بالأخذ عن الإعراب الحطمة وهو من فتح الباب أمام الكوفيين بعده الاتساع في الرواية كونه على رأس البقة الثانية للنحاة الكوفيين وكل من أتى بعد ذلك تتلمذ على أحد تلامذته.
4. تتميز الكوفة عن نظيرتها بثلاث مميزات هي كالآتي: التوسع في الرواية إذ تفتح كل ما يرد إليها من إشعار ولغات شاذة والميزة الثانية الاتساع في القياس بحيث يقاس على الشاذ والقليل والنادر دون مراعاة لمدى ندرته وشذوذه والثالثة الاختلاف في المصطلحات النحوية وما يتصل بها من عوامل.
5. توسع الكوفيون في قبول القراءات أكثر من البصريين فقبلوا منها الكثير وأحسنوا لها التجريح والتأويل إلا أنهم وقعوا في أخطاء تخطئة بعض القراءات أو تخطئة القراءة إذ عجزوا إيجاد لها وجها من الوجوه العربية.
6. لا نقر على أن علم النحو ظهر فجأة في كتاب سيبويه ولكن (الكتاب) ثمرة جهد سابق وعلم قطع مراحل عديدة.
7. اختلاف النقاد وتعصبهم لآرائهم كان سببا في تكوين المدارس النحوية لاسيما البصرة والكوفة.

8. اعتمد النحاة على النثر كما اعتمدوا على الشعر في تقعيد القواعد النحوية ولكن العلماء أباحوا للشاعر ما لم يبيحوا للناثر، وسمحوا للشاعر بتخطئة قواعد النحو تحت مظلة الضرورة الشعرية والسبب أن الشعر مقيد بالوزن والقافية.
9. السماع والقياس يعتبران من الأعمدة التي يقوم عليها النحو ويعتبران أصلا من أصوله، ولقد اعتمد البصريون كثيرا على السماع في تقعيد قواعده.
10. البصرة والكوفة تجيزان الاستشهاد بالحديث لأسباب عديدة ولكن ثبت عن سيبويه والفراء استشهادهما بالحديث، ولكن عموم البصريين والكوفيين لم يعتمدوا عليه في تبيين قواعده.

الكوفة كانت اكبر مدرسة لقراءة القرآن والكوفيون اعتمدوا بكل مسموع ومصادرهم في السماع هي نفس مصادر البصريين، والقياس الكوفي على أنماط فهو تارة قريب من المنهج اللغوي وأخرى يلجأ إلى القياس والتعليل على خلاف منهجهم أما البصريون فطبعهم الاعتماد على العقل أكثر من النقل، ولهذا كان القياس النحوي أبرز خصائصهم التي تميزهم عن الكوفيين وقد تأثروا بمنهج الفلاسفة والمتكلمين.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين والبصريين والكوفيين : د . محيي الدين توفيق إبراهيم , ط , 1 مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر , العراق / الموصل , 1399هـ 1979 / م.
2. أبو جعفرِ الرؤاسي المؤسس الأول للنحو الكوفي : د .عبد العال سالم مكرم , مجلة الضاد , تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة , العراق 1409 , هـ 1989 م
3. أبو جعفر الرؤاسي نحوي من الكوفة : د .عبد الله أحمد الجبوري , ط 1 طبع بمطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر / جامعة الموصل , بغداد 1408 , هـ 1988 / م.
4. أبو على الفارس، عبد الفتاح سلبي ، دار نهضة القاهرة مصر 1388هـ
5. أخبار النّحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض : أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ت368هـ ,بتحقيق : محمد إبراهيم محمد البنا , ط , 1 دار الاعتصام , القاهرة , 1409هـ 1989 / م
6. ارتقاء السيادة في علم أُصول النحو يحيى بن محمد أبو زكريا الشاوي المغربي الجزائري ت د.عبد الرزاق السعدي ، دار الأنبار ، العراق ، ط 1 ، 1411 هـ /1990م
7. أستاذ سعيد أفغاني من تاريخ النحو، دار الفكر ص 72.
8. أسرار العربية : أبو البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت 577 هـ , بتحقيق : محمد بهجة البيطار , دمشق 1957 م
9. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين السيوطي ، دار الكتاب العلمية 1403-1983م
10. أصول النحو العربي : د .محمد الحلواني دار النشر الاطلسي1981
11. الأصول في النحو : لأبي بكر محمد بن السري بن السراج ، تحقيق : د عبد الحسين الفتلي1985 ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1
12. الأعلام : خير الدين الزركلي ت 1976 م ,ط 1 ،دار العلم للملايين , بيروت , 1399هـ 1979 / م

13. الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، الجزء الحادي عشر 11 ، طبعة دار الكتب المصرية
14. الأغاني : أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني ت 356 هـ ,ط , 4 الناشر دار الثقافة , بيروت1393 هـ 1973 / م
15. الاغراب في جدل الاعراب : أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين الأنباري بتحقيق :سعيد الأفغاني , مطبعة الجامعة السورية, دمشق 1377هـ 1957 م.
16. الاقتراح في علم أصول النّحو : أبو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي , بتحقيق: د .محمد أحمد قاسم , ط , 1 لبنان / طرابلس 1408 , هـ 1998 / م.
17. الاقناع في القراءات السبع : أحمد بن علي بن الباذش بتحقيق : د .عبد المجيد قطامش 1403 هـ 1983 م
18. إنباه الرواة على أنباه النّحاة : جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي , بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم , ط 2 دار الكتب القاهرة 1394 هـ 1974 م.
19. البحث اللغوي عند العرب، دكتور أحمد مختار عمر كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة 1988م ط 6
20. بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة : أبو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية , بيروت/صيدا
21. تاريخ الفلسفة الإسلامية دي بور د محمد عبد الهادي ابو ريده دار النهضة العربية بيروت .
22. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب, محمد المختار ولد اباه ,دار الكتب العلمية 2008م
23. تأريخ النحو وأصوله،- عبد الحميد طلب مكتبة الشباب , القاهرة , د.ت ص 206.
24. تاريخ بغداد : أبو أحمد بن علي البغدادي) ت 462 هـ , (دار الكتب العلمية , بيروت 1391 , هـ 1971/ م.

25. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب : أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري بتحقيق : د .زهير عبد المحسن سلطان , ط 2مؤسسة الرسالة, بيروت 1415 هـ 1994 م

26. حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك : محمد بن علي الصبان ،دار إحياء الكتب العربية , القاهرة , د .ت.

27. حجة القراءات : أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة بتحقيق: سعيد الافغاني , ط 4 مؤسسة الرسالة , بيروت 1404 , هـ 1984 م.

28. الحدود في النّحو : أبو الحسن علي بن عيسى الرمّاني بتحقيق : د .إبراهيم السامرائي ط 1 نشره ضمن رسالتان في اللّغة ,دار الفكر , عمان 1404 هـ 1984 م.

29. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي بتحقيق : عبدالسلام محمد هارون ت 1988 م ,ط 2 مكتبة الخانجي , القاهرة 1399 , هـ – 1408هـ 1988 / م

30. الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جي بتحقيق : محمد علي النجار ت ط 4 دار الشؤون الثقافية , بغداد 1410 هـ 1990 م

31. خطي متعثرة على طريق تجديد النحو العربي– عفيف مشقية – دار العلم للملايين بيروت 1980م

32. الخلاف النّحوي بين الكوفيين : مهد ي صالح الشمري , إطروحة دكتوراه , جامعة بغداد كلية الآداب, بإشراف : د .عبد الأمير محمد أمين الورد 1416 , هـ 1995 / م.

33. الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث لـ : محمد حسين ال ياسين منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت1980

34. دراسات علم اللغة–كمال بشر ، دار المعارف، القاهرة ط2 1971م

35. دراسات في النحو العربي رياض السواد دار الراية ط1 ص

36. دروس في المذاهب النحوية عبده الراجحي دار النهضة العربية

37. ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس . بيروت ، دار المعرفة . ط ٢ 1995

38. ديوان امرىء القيس . اعتنى به وشرحه : عبدالرحمن المصطاوي . بيروت ، دار المعرفة ط 2 ’ 2004.

39. ديوانه ، مسكين الدارمي ربيعة بن عامر، جمع وتحقيق /إبراهيم الطعية وعبد الله الجبوري ، مطبعة دار البصري ط 1 1970 م

40. الشاهد وأصول النحو في كتاب سبويه د. خديجة حديثي، مطبوعات جامعة الكويت ط1 ، 1394هـ 1974م ص 229.

41. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط – محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق ، ط1 ’ 1988 م

42. شرح الرضي على الكافية : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي) ت 686 هـ , دار الكتب العلمية , بيروت , د .ت

43. شرح الرضي لكافية، محمد بن الحسن الاستراباذي السمنائي النجفي الرضي،الناشر جامعة محمد بن سعود ، السعودية

44. شرح اللمع : عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري ت 456 هـ , (بتحقيق : د . فائز فارس , ط1 مطبعة الكويت اليوم , الكويت 1404 , هـ 1984 / م

45. شرح المفصل (ط.المنيرية) يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين الناشر ادارة الطباعة المنيرية.

46. شرح شواهد المغني : أبو بكر جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي 911 هـ ,لجنة إحياء التراث العربي , القاهرة , د .ت.

47. شرح عمدة الحافظ واللافظ، ابن مالك ،تحقيق /رشيد عبد الرحمن العبدي – لجنة إحياء التراث – العراق ط1، 1997 م

48. شرح كتاب سيبويه : لأبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي) 368 هـ (، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، حقق الجزء الأول : د /رمضان عبدالتواب ، ود /فهمي حجازي،و د /محمد هاشم عبدالدايم، 1986 م، وحقق الجزء الثاني : د /رمضان عبدالتواب 1990م.

49. شعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الثقافة بيروت، 1964 م

50. الشواهد والاستشهاد في النّحو : د .عبد الجبار علوان ,ط 1 مطبعة الزهراء, بغداد 1396هـ 1976 م

51. الصحاح , تاج اللغة وصحاح العربية : اسماعيل بن حماد الجوهري بتحقيق : أحمد عبد الغفور عطار , دار الكتاب العربي , القاهرة

52. صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ,بشرح وتعليق : الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي , ط 1 دار القلم , بيروت 1407 , هـ 1987 م

53. طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف 1983مصر ط2

54. ظاهرة الجزم في اللّغة العربية : عبد الكاظم داخل عبد الكريم , رسالة ماجستير , جامعة بغداد / كلية الآداب , باشراف : د .أحمد ناجي القيسي 1403 هـ 1983 م.

55. العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي بتحقيق : د .مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي م ,دار الرشيد للنشر , ودار الشؤون الثقافية بغداد, 1400

56. الفروق في اللغة : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكري تقديم , عادل نويهض ط 2 دار الآفاق الجديدة , بيروت 1397 هـ 1977 م

57. الفهرست لابن النديم تحقيق :د .رضا تجدد . طهران – 1971 م.

58. في أصول النّحو : سعيد الافغاني ط 2 مطبعة الجامعة السورية, دمشق 1957 ,م

59. في النّحو العربي نقد وتوجيه : د .مهدي المخزومي ,ط 2 دار الرائد العربي , بيروت 1406هـ 1986 م

60. فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح ,أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي , تحقيق د .محمود فجال ,دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ,الإمارات 1423 هـ 2002 م

61. قاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية – دكتور أحمد عبد العظيم عبد النبي، كلية دار العلوم، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1410هـ- 1996م،

62. القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المؤسسة العربية للطباعة ,بيروت , د .ت.

63. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم ، دار النشر مؤسسة علي جراح الصباح ط2

64. الكامل في اللغة والأدب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق : د /محمد 1997 م .، أحمد الدالي، بيروت ، مؤسسة الرسالة، ط3

65. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها : مكي بن أبي طالب) ت 437 هـ , (بتحقيق : محيي الدين رمضان , دمشق 1394 , هـ 1974 / م.

66. الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر- دكتور عبد الفتاح الحموز، ، ط1 1418هـ 1997م، دار عمان، عمان، ص 91.

67. اللباب في علل البناء والاعراب : أبو البقاء محب الدين العكبري) ت 616 هـ , (بتحقيق : غازي مختار الطليمات , ط , 1 دار الفكر , دمشق 1410 , هـ 1990 / م

68. لسان العرب : أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور) ت 711 هـ , (بيروت , 1388هـ 1968 / م.

69. لمع الأدلة في أصول النحو : أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري ,بتحقيق سعيد الأفغاني , مطبعة الجامعة السورية , دمشق 1377 هـ 1957

70. مجالس ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب) ت 291 هـ , (بتحقيق : عبد السلام محمد هارون) ت1988م ,ط 5 دار المعارف , القاهرة 1407 , هـ 1987 / م

71. محمود ع سلام تقعيد نحوي بين سماع وقياس رسالة ماجستير، جامعة قاهرة، كلية دار العلوم 1968م

72. المدارس النّحوية : د .شوقي ضيف ت 2004 م ,ط 4 دار المعارف , القاهرة , 1394هـ1974 / م.

73. المدارس النّحوية أسطورة وواقع : د .إبراهيم السامرائي ت 2001 م , (ط , 1 دار الفكر , عمان 1407 , هـ 1987 / م

74. مدرسة البصرة النّحوية : د .عبد الرحمن السيد , ط 1 مطابع سجل العرب , القاهرة 1388هـ/1968 م

75. المدرسة نحوية في مصر والشام في قرنين سابع وثامن من هجرة بيروت عبد العال سالم مكرم ص 476.

76. مذهب الكسائي في النحو : جعفر هادي الكريم , رسالة ما جستير , جامعة بغداد /كلية الآداب , بإشراف: د .أحمد ناجي القيسي 1389 هـ 1969 م

77. مرآة الجنان وعبرة اليقظان : عبدالله بن أسعد اليافعي ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب 1997م .، العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1

78. المزهر في علوم اللّغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي ,شرح محمد أحمد جاد المولى ,ومحمد أبو الفضل إبراهيم , وعلي محمد البجاوي , ط 2 دار إحياء الكتب العربية , 1378هـ 1958 م

79. مسائل الخلاف النّحوية بين علماء مدرسة البصرة حتى نهاية القرن الثالث الهجر ي : كريم سلمان الحمد, رسالة ماجستير , جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، القسم اللّغوي , بأشراف : د .عبد الرحمن السيد1400 , هـ 1980 / م.

80. معاني القرآن المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء المحقق: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار ، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – ط:1

81. معجم الأدباء , إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي اعتنى بهِ أحمد فريد رفاعي , مطبوعات دار المأمون , مصر 1377 هـ 1957 م

82. المعجم الوسيط : د .إبراهيم انيس وآخرون , ط 2 دار الفكر , بيروت 1390 هـ 1970م

83. المفيد في المدارس النحوية: إبراهيم عبود السامرائي ,دار المسيرة 2008م,

84. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية : محمود بن أحمد العيني ت 855 هـ على هامش خزانة الأدب للبغدادي , القاهرة 1299 , هـ 1881 / م

85. مقدمة ابن خلدون, عبد الرحمن بن خلدون, لبنان دار الكتاب العلمية

86. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي 1413هـ . ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1

87. الّنحو الكوفي مباحث في معاني القرآن للفراء : د .كاظم إبراهيم كاظم , ط 1 عالم الكتب , بيروت 1318 هـ 1998 / م, .

88. النزعة العقلية في الدراسات اللّغوية عند الفراء : وسام مجيد حابر البكري , أطروحة دكتوراه , الجامعة المستنصرية / كلية الآداب , بإشراف : د .نبهان ياسين حسين الدليمي , 1418هـ 1998 / م

89. نزهة الالباء في طبقات الأدباء : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري,بتحقيق : د .إبراهيم السامرائي ط3 مكتبة المنار , عمان 1405 هـ 1985 م.

90. نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة, طلال علامة, دار الفكر اللبناني 1992م,

91. نشأة الّنحو وتاريخ أشهر النحاة محمد الطنطاوي ط2 دار المعارف

92. النشر في القراءات العشر : أبو الخير شمس الدين بن محمد المعروف بابن الجزري تصحيح ومراجعة : علي محمد الضباع , دار الكتب العلمية , بيروت , د .ت.

93. نقلا عن عباس حسن النحو الوافي دار المعارف مصر 1966، ط 3، جزء1

94. همع الهوامع : في شرح جمع الجوامع : جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي ,بتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون) ت 1988 م (وعبد العال سالم مكرم , دار البحوث العلمية 1395 هـ 1975م

95. الوساطة بين المتنبي وخصوصه : للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني الناشر عيسى البابي الحلبي 1966م

96. الوسيط في تاريخ النحو العربي د. عبد الكريم محمد الاسعدُ كليةالادب – جامعة الملك سعود. دار الشواف الرياض